الجزء السادس المجلد الخامس

المقتطف

ابو العلاء المعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

١ — موطنه وأسرته

الى جنوبي حلب على بعد اثنتي عشرة ساعة منها بلدة معتدلة الهواء قديمة عرفها الرومانيون باسم أرّا ثم عرفت بعدهم بذات القصور وهي اليوم قضاء من اعمال حلب يعرف بقضاء معرة النعمان نسبة الى المعرة قصبته ولفظة المعرة سريانية بمعنى المغارة وليست في شيء من التفاسير التي عددها ياقوت الحموي في معجم البلدان ولقد زعم بعض المؤرخين انها سميت بمعرة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص الذي مرّ بها فمات له ولد ودفنه فيها فنسبت اليه وقد توفي النعمان سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) . وعندي ان رأي ياقوت في معجمه اقرب الى الصحة وهو انها نسبت الى احد اجداد المعري وهو النعمان الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله وهو تنوخ بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة .

فتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب اجتمعت هذه القبائل مع غيرها في البحرين وتحالفوا في التناصر والتآزر فسموا تنوخًا وتنوخ يعني الاقامة فكانوا تنوخ حيًا من بني قضاعة عرب اليمن (وقيل من الازد) خرجوا من مدينة مأرب الى البحرين بعد سيل العرم [1] ثم تفرقوا في نواحي العراق والشام ونزل منهم النعمان زعيم قبيلته وابوها بالمعرة فنسبت اليه وهو اوجه الاقوال واطلا

---

[1] راجع كتابي روائع التطوف صفحة ٩٢

فمعرة النعمان كانت حصينة منيعة في القرون في صدر الاسلام ثم استولى عليها الافرنج الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ ب م) واسترجعها المسلمون الى ايديهم سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ ب م) وزارها ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما من السياح وقالا انها كانت لعهدهما من اخصب بلاد الله واكثرها رزقاً وان بساتينها ممتدة الى مسافة يومين وفيها الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه .

ولا شأن لها اليوم ويكثر فيها الزيتون والتين والزبيب والعدس وانواع الحبوب والقطن وفيها صناعة النسج والحياكة . وتوجد قرى كثيرة اسمها معرة مثل معرة مصرين قرب حلب ومعرة ناس من قضاء [illegible] في جبل [illegible] ومعرة صيدنايا من اعمال دومة وغيرها . والى المعرة ينسب كثيرون من العلماء ابرزهم ابو العلاء هذا وكذلك كثيرون من اسر مشهورة مثل الامراء الارسلانيين التنوخيين في لبنان وآل الجندي في حمص وغيرهم

وقد نشأ من التنوخيين في معرة النعمان سليمان بن محمد بن سليمان من سلالة النعمان ابن عدي التنوخي المنتهي نسبه الى الحاف بن قضاعة [illegible] وهو جد المعري لابيه كان قاضياً في بلدته ومن العلماء الاعلام في وقته [illegible] ولده عبدالله والد المعري [illegible] في الادب وكان شاعراً وتزوج امرأة من آل سبيكة مواطنيه الذين عرفوا بآدابهم وخدم الادب والمعارف [illegible] وكان ابو العلاء هذا نخبة معرة هذا البيت وخلاصة ذكائه ومجمع زبدة آدابه

نشأته

ولد ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي في معرة النعمان في بيت عرف بالأدب والفضل ومن والديه من سلالة العلماء يوم الجمعة في ٢٧ ربيع الاول سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) وما انفتحت عيناه على نور العالم ومشاهدة جمال الطبيعة حتى مرض بالجدري في الرابعة سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) فافقدته نوره [illegible] الى [illegible] ثم توقد ذكاؤه وقد ارتجل شعراً [illegible] ومنه قوله:

[illegible] العمى [illegible] مطرقاً   [illegible] تقتدي [illegible] يهود
والله [illegible] السود [illegible]   [illegible] العيون

وكثيراً ما كان يجول [illegible] في النفس كما يحمده [illegible] في البصر . ولقد كانت له اسوة بكثير من كبار الشعراء والعلماء الذين اصيبوا بالعمى مثل هوميروس اليوناني

وبشار بن برد المرعث وهو [illegible] الذي [illegible] عن شاهدوه انه [illegible] المعرة [illegible] فغشي يمنى حدقتيه بياض وذهبت اليسرى جملة فكانت [illegible] غائرة و[illegible] ناتئة جداً وذلك يخالف [illegible] . وكان يقول لا أعرف من الالوان الا الاحمر لاني ألبست في الجدري ثوباً معصفراً . وكانت في وجهه ندوب الجدري وهو نحيف الجسم [illegible]

قرأ النحو واللغة على ابيه ثم رحل الى حلب وقرأ على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي فتمكن من آداب اللغة وطالع كتب [illegible] المؤلفات بدور المكاتب في حلب [illegible] في [illegible] ونظم الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ولم يتكسب به [illegible] من نفسه [illegible] . ومعرضاً [illegible] الاحسان [illegible] والافضال . وعمل في فلسفة [illegible] . ومشككاً من [illegible] من [illegible] في [illegible] في شعره مذهب الفلاسفة وحرية الفكر [illegible] الكون [illegible] وكان [illegible] [illegible]

والتف العلماء من حوله فصار مرجع الادباء وقصده الطلاب فخرج عليه كثير من علماء عصره من اشهرهم ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي . وابو زكريا الخطيب التبريزي شارح الحماسة

وقد رحل في طلب الكتب والتوسع في المعارف الى طرابلس الشام المشهورة بمكتبتها العظيمة اذ ذاك ومر على اللاذقية فنزل ديراً بها وسمع من احد رهبانه بعض العلوم واطلع على مذهب اليهود والنصارى وكذلك قصد [illegible] بغداد وغيرها [illegible] يحصل منه نحو ثلاثين ديناراً(١) في العام ينفق نصفها على من يخدمه

---

(١) (المقتبس) عثرنا صديقنا احمد بك تيمور من علماء القاهرة عن القدر الذي كان يرزقه المعري فكتب الينا ما نصه

واحسن [illegible] ابي العلاء الى داعي الدعاة [illegible] التي وعدتكم بها فكتبتها لكم [illegible] وما [illegible] ترك الحيوان ان الذي [illegible] في السنة نيف وعشرون ديناراً [illegible] النصرت على قول [illegible] ولا يطلب [illegible] الا [illegible] من [illegible] عندي [illegible] حين [illegible] السلام)

فعورض في رزقه فذهب الى بغداد متظلماً ممن عارضه سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ثم عاد اليها ثانية سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) واقام فيها سنة وسبعة اشهر فتفقد مكاتبها وتعرف بعلمائها ودرس عليه كثير منهم قال ابو القاسم التنوخي: لما ورد المعري بغداد قرأت عليه شعره وذكر انه دخل عليه وهو في بغداد علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه شيئاً من النحو فقال له الربعي: ليصعد الاصطبل فخرج مغضباً ولم يعد اليه . ويروى انه دخل يوماً مجلس المرتضى فعثر بانسان فقال له : من هذا الكلب فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وله اخبار كثيرة لا محل لاستيفائها

ومن اشعاره في غربته يحن الى وطنه قوله :

فيابرق ليس الكرخ داري وانما　　رماني اليها الدهر منذ ليالـ
فهل فيك من ماء المعرة قطرة　　تغيث بها ظمآن ليس بسالـ

وقوله :

يا ماء دجلة ما اراك تلذ لي　　شوقاً كماء معرة النعمان

وعاد ابو العلاء من بغداد الى المعرة سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولزم بيته وشرع في التصنيف والتدريس فتقاطر اليه الادباء من كل صوب مقتبسين من آثاره وكاتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار فانقطع الى خدمة الآداب وسمى نفسه رهين المحبسين للزوم بيته وذهاب عينيه كما صرح في ذلك بقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني　　فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي　　وكون النفس في الجسد الخبيث

وكان يلعب الشطرنج والنرد (الطاولة) . ويملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلم وولع بالعلوم الرياضية واتقنها وله كثير من الابيات الرياضية مثل قوله :

طرق العلى مجهولة فكأنها　　صم العوائد مالها أجذار
والمثل أنذرنا بما هو كائن　　في الدهر ثم تشعب الانذار

وعلى الجملة فان المعري كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة خبيراً من آدابها حسن الشعر جزل الكلام قوي الذاكرة شديد الذكاء

٣ — حافظته ونوادره ووفاته

اشتهر ابو العلاء بقوة الحافظة اشتهاراً عظيماً فاق فيه بديع الزمان الهمذاني وغيره

وربما زاده حفظه العمى فانه يجمع الذهن ويقوي المخيلة . ومما يروى عنه انه جرى حساب طويل بين رجلين في مكان تشرف عليه غرفته فسمع الحساب وحفظه . ثم ضاعت الاوراق بعد حفظه اياه فأملاه عليهما ووجدت الاوراق بعد ذلك فكانت طبق إملائه .

وأعجب من هذا انه كان يوماً عند يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرة . ثم جاء يطلبها بعد سنة فأنكرها فرافعه الى القاضي ولم يكن بينهما شهود الا المعري فاستقدمه القاضي وسأله . فقال : اني رجل اعمى لم ابصر ما كان بينهما . ولكني سمعت كلاماً بالعبرانية اذكر لفظه ولا اعرف معناه . فدعا القاضي يهودياً خالي الذهن من القصة واعاد عليه الشيخ ذلك الكلام فاذا هو يؤذن بصحة الدعوى

وأنشده مرة ابو نصر المنازي قوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال له ابو العلاء : انت اشعر من بالشام . وطويت الايام على قوله هذا فلما رحل الى بغداد انشده المنازي ابياتاً :

لقد عرض الحمام لنا بسجع اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقيل غنى وبرح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في احشاء صب اذا اندملت اجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى وسكران الفؤاد وان تصاحى
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المها مرضى صحاحا

فقال له ابو العلاء . ومن بالعراق عطفاً على قوله قبلاً (انت اشعر من بالشام) الى غير ذلك وكان يقصده كثير من العلماء للتعارف معه وممن نزل بالمعرة القاضي عبد الوهاب البغدادي فمدحه المعري (راجع ابن خلكان ١ : ٤٣١)

ومن نوادره ان ابا الفضل التميمي الدارمي البغدادي اجتمع بابي العلاء هذا في بلدته المعرة لما بعثه القائم بامر الله العباسي من بغداد رسولا الى صاحب افريقية

المعز بن باديس وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب [illegible] أنت من [illegible]

ولقي يوماً غلاماً فسأله عن [illegible] بن [illegible] . فسأله الغلام عن اسمه فعرّفه به . فقال له أأنت القائل :

واني وان كنت الاخير زمانه   لآتٍ بما لم تستطعه الاوائل

قال : نعم . قال : ان الاوائل وضعوا ٢٩ حرفاً للهجاء فهل لك ان تزيد عليها حرفاً فسكت وقال لرفيقه : ان هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهنه وهكذا كان

وبقي [illegible] الادب منقطعاً الى التدريس حتى مرض ثلاثة ايام ومات في الرابع منها ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث من مرضه : اكتبوا عني . فتناولوا الدويّ والاقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي ابو محمد عبدالله التنوخي : احسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت . فمات يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٨ م) بالمعرة . وفي طبقات ابن الانباري انه توفي سنة ٤٩٩ وهو خطأ . وقبره في ساحة من دور اهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو مهمل . وقد اوصى ان يكتب على قبره :

هذا جناه ابي عليّ (م) وما جنيت على احد

والمشهور انه مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   مكنونة قدّها الرحمن من شرف
عرفت فلم تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

وقرئ على قبره سبعون مرثية ورثاه نحو ١٨٠ شاعراً

٤ — اخلاقه ومعتقده

كان المعري حاد الذهن عصبي المزاج فضاق خلقاً في آخر ايامه لان العمى يورث الضجر وكثرت مصائبه فاشتد حزنه واكثر الشكوى وسوء ظنه بالناس الدليل قوله :

من عاش غير مداجٍ من يعاشره   اساء عشرة اصحاب واخدان
كم صاحب يتمنى لو نعيت له   وان تشكيت راعاني وفداني

وقوله : توحد فان الله ربك واحد   ولا ترغبن في عشرة الرؤساء
يقل الاذى والعيب في ساحة الفتى   وان هو اكدى قلة الجلساء

وكان مع التشيع [illegible] سيرته في ظاهره، ولذلك قال:

أأمنعوني أن أكون مدلساً هيهات غيري آثر التدليسا

ويرى [illegible] من خلقه الرتبة والمنزلة [illegible] كقوله:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

وكان متواضعاً يمقت الكبرياء ولذلك قال:

دعيت أبا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح أبو النزول

وقد [illegible] منقطعاً عن أكل اللحوم والبيض والعسل مقتصراً على ما تأكل النباتية لأنه كان يذهب مذهب من تقدمه من الفلاسفة الذين لا يغتذون الحيوانات بالمرة. وقال ابن الأثير: إنه كان يحرمها. وحكى أنه وصف له فروج وهو مريض لم يأكله [illegible] قوله: استضعفوك فوصفوك. وإلى ذلك أشار تلميذه أبو الحسن علي بن همام في رثائه له بقوله:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من عيني دما

وكان يذهب مذهب الهنود [illegible] أحوال جثث الميت كما يرى البعض [illegible] في عصره بدليل قوله:

سرى الهند [illegible] جثث النار (١) رأوا فيه راحة ولا تستحير
واستتروا من ضغطة القبر وسؤل أتت لمنكر ونكير

وقوله:

لا تحرق الهند [illegible] بالنار [illegible] الخراب والأعفر
[illegible] نكير ومنكر وضغطة [illegible] الأجوم [illegible]

ومن قوله في السياسة التي يصدح بها خطباء [illegible] في هذه الأيام قوله:

[illegible] الذي بين [illegible] إذا أنت لم تجعل سعواً مداره
فقل [illegible] أن تطمع وأقل سقوط جداره

ومن مذهبه الشورى بدليل قوله:

مُلَّ المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومنه كرهه للمدح ولذلك قال :

اذا اثنى عليّ المرء يوماً بخير ليس فيّ فذاك هاجي
وحقي ان اساء بما افتراه فلؤم من غريزتي ابتهاجي

ومن مبادئه التثبت عند حلول النوائب كما قال :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ ـس بصوت البشير في كل ناد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها مياد

وذهب مذهب القائلين ان وجود الولد جناية فلم يتزوج بدليل ما اوصى ان يكتب عَلَى قبره وبدليل اقوال له كثيرة منها :

عَلَى الولد يجني والد ولو انهم ولاة عَلَى امصارهم خطباء

وربما كان متردداً في البعث والمعاد والخلود ولكن اعتقاده بها اكثر من انكاره لها ومن قوله :

ايها الملحد لاتعصي النهى فلقد صح قياس واستمر
ان تعد في الجسم يوماً روحه فهو كالربع خلا ثم عمر

ولذلك الف بعضهم كتاباً في الدفاع عنه سماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة) والف كمال الدين بن العديم كتاب (دفع التجري عن المعري) وكتبت مقالات كثيرة في تبرئته مما نسب اليه من الزندقة

٥ — شعره

يكفي في وصف شعر المعري ان يقال في تعظيمه انه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وقد تصرف فيه تصرفاً غريباً وسرح خياله في العوالم العلوية والسفلية فمثلها احسن تمثيل وحرص الناس عَلَى شعره فجمع في ثلاثة دواوين (لزوم مالا يلزم) (وسقط الزند) (وضوء السقط) وقد قلت فيها مورياً

ومبذرق نظر الفيفة جاءني والنار قربي بالتهاب يضرم
مذ قال هذا ضوء سقط الزند قلـ ـت له اراه لزوم مالا يلزم

ومنها انتخب الآن مايدل عَلَى مسرح خيال المعري وحسن وصفه ودقة فكره وقوة بصيرته فمن اقواله يصف السهر والليل من قصيدة :

بانت عرى النوم من عيني مطلقة وبات كوري عَلَى الوجناء مشدودا

كأن جفني سقطا نفر فزع   اذا اراد وقوعاً ريع او ذيدا
ظن الدجى فتخة الاظفار كاسرة   والصبح نسراً فما ينفك مزؤودا
تناعس البرق اي لا أستطيع سرى   فنام صحبي وامسى يقطع البيدا
كأنه غار منا ان نصاحبه   وخاف ان نتقاضاه المواعيدا
من يجير الليل اذ جنت حنادسه   والرمل عني لما حل او جيدا
اني أراح لاصوات الحداة اذا   وللركائب يخبطن الجلاميدا
كأن غروب طلاقها تعبٌ   فهن يمتحن بالارسان تقويدا

ومن حماسياته قوله من قصيدة :

يتهللون طلاقة وكلومهم   ينهل منهن النجيع الاحمر
لايعرفون سوى التقدم آيبا   فجراحهم بالسمهرية تسبر
من كل من لولا تسعر بأسه   لاخضر في يمنى يديه الاسمر
يذكي تلهب ذهنه اوقاته   فكأنما هو بالغدو مهجر
وضجيع خلفهم الحسام وان ثوى   منهم فتى ثم المهند يقبر
فكأنهم يرجون اثما ربهم   بالبيض تشفع عنده وتكفر
انامن اقام الحرف وهي كأنها   نونٌ بدارك والعجاج أسطر

وقال من قصيدة أخرى في الغنى والفقر :

وان الغنى والفقر في مذهب النهى   لسيان بل اغنى من الثروة العدم
وما نلت مالا قط الا ومال بي   ولا درهما الا ووزر بي الم
لك الخير قد افقدت ما هو ملبسي   حياء وعند الله من قائل علم
ولو انه اضعاف اضعاف مثله   من التبر لم يثبت له في نداك اسم
واهون به في راحة اريحية   كآخر ماض ليس من شأنه الضم
ثني تقصير ومنك تفضل   بعذر فلا حمد لدي ولا ذم
فلو كنت شعراً كنت احسن منشد   سليم القوافي لازحاف ولاخرم

وقال ايضاً من قصيدة أخرى :

تقول ظباء الحزم والدمع ناظم   تحل عقد الوعساء عقد ضلال
لقد حرمتنا اثقل الحلي أختنا   فما وهبت الا سموط لآلي
فان صلحت للناظمين دموعنا   فانثر منها بالكثيب حوالي

جهلتم ان اللؤلؤ الذوب عندنا   رخيص وان الجامدات غوالي
ولو كان حقا ما ظننتم لاغتدت   مسافة هذا البر سيف اوال(1)

وقال في نار القرى :

الموقدي نار القرى الآصال والا   سحار بالاهضام والاشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى   ترمي بكل شرارة كطراف

وقال في خلاء الفكر للنظم والنثر :

ولولا ما تكلفنا الليالي   لطال القول واتصل الروي
ولكن التراخي له معان   واولاها به الفكر الخلي

وقال في التوجيه البديعي :

فدونكم خفض الحياة فانا   نصبنا المطايا في الفلاة على الذم

وقال ايضا :

حروف سرى جاءت لمعنى اردته   برتني اسماء لهن وافعال

وقال : ولو جرت النباهة في طريق الى   خمول الي لاخترت الخمولا

وقال : فصرفني فغيرني زماني   سيعقبني بحذف وادغام

وقال من قصيدة :

وليلا تلحق الاهوال فيه   بفود الشيخ ناصية الغلام
اذا نشروا الرحيل فكل غر   برى صرعاته للعيس اغتنام
كأن جفونه عقدت برضوى   فما يرفعن من سكر المنام
لوان حفى الناخ مدى حداد   ازرتها الشعور من السآم
وجاز الى ابرادي هجير   يجوز من القراب الى الحسام
يرد معاطس الفتيان سفعا   وان ثني اللثام عن اللثام
اذا احرزته الظهر دين كسرى   فصلى والنهار اخو الصيام
واذوات الجلاب في ضحاها   اذانا غير منتظر الامام

وقال : وكم لك من اب وسم الليالي   على جبهاتها سمة اللئام
مضى وتعرف الاعلام فيه   غني الوسم عن الف ولام

وقال : لفظ كأن معاني السكر تسكنه   فمن تحفظ بيتا منه لم يفق

---

(1) مغاص لؤلؤ في البحر الاحمر

فرتب النظم ترتيب الحلي على   تخص الحلي بلا طيش ولا خرق
الحجل (١) للرجل والتاج المنيف لما   دون الحجاج (٢) وعقد الدر للعنق
فان توافق في معنى بنو زمن   فان جل المعاني غير متفق
قد يبعد الشيء من شيء يشابهه   ان السماء نظير الماء في الزرق
وقال : ارى الحمد سيفاً والقريض نجاده   ولولا نجاد السيف لم يتقلد
وخير حلالات السيوف حمالة   تحلت بابكار الثناء المخلد
وقال : كأن كل جواب انت ذاكره   شنف يناط باذن السامع الواعي
وقال : وكلامك المرآة تصدق في الذي   تحكي وانت الصارم المصقول
وقال : فيا قبر واه من ترابك لينا   عليه وآه من جنادلك الخشن
لأطبقت إطباق المحارة فاحتفظ   بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن
وقال : وليلة سرت فيها وابن مزنتها   كميت عاد شيباً بعدما نفضا
كأنما هي اذ لاحت كواكبها   خود من الزنج تجلى وشحت خضضا
كأنما النسر قد قصت قوادمه   فالضعف يكسره عن كل ما نهضا
والبدر يحثث نحو الغرب اينقه   فكلما خاف من شمس الضحى ركضا
وسهيل ترد الجوزاء غمرته   اذا السها كان شطر الغرب اعترضا
وردته ونجوم الليل وانية   تشكو الى الفجر ان لم تطعم الغمضا
وقال : وأرى ابا الخطاب نال من الحجى   حظاً زواه الدهر عن خطابه
لأبطليس كلامه متشبه   فالدر ممتنع على طلابه
أبقى يخاف من ارتحال ثنائه   عني فقيد لفظه بكتابه
كالمكدر العاقد يحسن تحته   معناه حسن الماء تحت حبابه
فتوقفت شوقاً الى لقائه   أفهامنا ورنت الى آدابه
والنحل ما عكفت عليه طيوره   الا لما علمته من ارطابه
ردت لطائفه وحدة ذهنه   وحش اللغات اوانساً بخطابه
والنحل يجني المر من نور الربى   فيصير شهداً في طريق رضابه

وقال ملغزاً في الابرة

سعت ذات سم في قميصي فغادرت   به اثراً والله شاف من السم

---

(١) الخلخال (٢) منبت شعر الحاجب

كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً   وكسرى وبادت وهي عارية الجسم

وقال وقد ابدع في تشبيه الليل والبرق :

كما أغضى الفتى ليذوق غمضاً   فصادف جفنه جفناً قريحاً
اذا ما اهتاج احمر مستطيراً   حسبت الليل زنجياً جريحا

وقال وقد ابدع :

ياسعد اخبية الذين تحملوا   لما ركبت دعيت سعد المركب
غادرتني كبنات نعش ثابتاً   وتركت قلبي مثل قلب العقرب

وقال : لاتطلبن بآلة لك حاجة   قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما   هذا له رمح وذلك اعزل

وقال : ولاتجلس الى اهل الدنايا   فان خلائق السفهاء تعدي

وقال يصف انعكاس صورة السماء ونجومها في مرآة الماء

فأطمعن في اشباههن سواقطاً   على الماء حتى كدن يلقطن باليد
فمدت الى مثل السماء رقابها   وعبت قليلا بين نسر وفرقد

وقال: أطرق كأنك في الدنيا بلا نظر   واصمت كأنك مخلوق بغير فم
وان هممت بمين فاتخذ لثماً[١]   مضاعفات لتثني اللفظ باللفم

وقال في ذم الدنيا من ابيات :

وقد نطقت باصناف العظات لنا   وأنت فيما يظن القوم خرساء
يموج بحرك والاهواء غالبة   لراكبيه فهل للسفن إرساء
اذا تعطفت يوماً كنت قاسية   وان نظرت بعين فهي شوساء

وقال: ان الاعلاء ان كانوا ذوي رشد   بما يعانون من داء اطباء
وماشفاك من الاشياء تطلبها   الا الألباء لو تلقى الألباء
نفر من شرب كاس وهي تتبعنا   كأننا لمنايانا أحباء

وقال يصف الشباب: ان الشبيبة نار ان اردت بها   أمراً فبادره ان الدهر مطفئها

وقال : اذا فعل الفتى ما عنه ينهى   فمن جهتين لا جهة أساء

وقال في النساء :

علموهن الغزل والنسج والرد   ن وخلوا كتابة وقراءه

---

(١) اللفم بالفاء اللفام وهو ما على طرف الانف من النقاب

فصلاة الفتى بالحمد والاخلاص تجزئ عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس أمام الستر ان غنت القيان وراءه

وقال في ادب الاخلاق :

اذا صاحبت في ايام بؤس فلا تنس المودة في الرخاء
ومن يعدم اخوه على غناه فما ادى الحقيقة في الاخاء
ومن جعل السخاء لاقربيه فليس بعارف طرق السخاء

وقال :

القلب كالماء والاهواء طافية عليه مثل حباب الماء في الماء
منه تنم (١) ويأتي ما بغيرها فيخلف العهد من هند واسماء
والقول كالخلق من سيء ومن حسن والناس كالدهر من نور وظلماء

وقال :

بناني ابن آدم حال الغصون فهاتيك أجنت (٢) وهذا جنى (٣)
تغير حناؤه شيبه فقل غير الطهر لما انحنى (٤)

وقال: ان تستقيم امور الناس في عصر ولا استقامت فذا أمناً وذا رعبا
ولا يقوم على حق بنو زمن من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

وقال: يغدو الى خاله الانسان يظلمه كالذيب يأكل عند الغرة الذيبا

وقال: تقادم عمر الدهر حتى كأنما نجوم الليالي شيب هذي الغياهب

وقال في النمام :

وانك ان اهديت لي عيب واحد جدير الى غيري بنقل عيوبي

وقال في الرياء :

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقال في فساد الناس :

عرفتكم بني حواء قدماً فكلكم أخو غش مكور
وما فيكم على الاحسان جاز ولا منكم على النعمى شكور

---

(١) ظهرت (٢) أدركت ونضجت (٣) اي الثمر ونحوه (٤) وهو بمعنى قول الآخر

بان بدلس بالخضاب مشيبه ان المدلس لا يزال مريبا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجاً أيعود عرجون القوام قضيبا

وقال: صدق الطبيب عن الطعا   م وقال قولاً كله بصر
كل بالطبيب ولا خلا   ص من الردى فليستغر

وقال: مثل الفتى عند التغرب والنوى   مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً أرتك خمودها   أو وافقت اكلاً أرتك منارها

وقال: وان اقتناع النفس من احسن الغنى   كما ان سوء الحرص من اقبح الفقر

وقال: وما الوقت الا ثائر بأخذ المدى   فبادره اذ كل النهى في بداره
رأتك الرزايا ظالماً يا ابن آدم   وبئس الفتى من جار عند اقتداره

وقال: اضرب وليدك تأديباً على رشد   ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة   وقس على شق رأس السهم والقلم

وقال: النفس عند فراقها جثمانها   محزونة الموس ربع بامر
كحمامة صيدت فثنت جيدها   اسفاً لتنظر حال وكر دامس

ولقد نسبه بعضهم الى الكفر لقوله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة   وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا   زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ولكنه قال ايضاً في محل آخر :

خلق الناس للبقاء فضلت   امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعمال   الى دار شقوة او رشاد

وقال ايضاً :

فاني وجدت النفس تبدي ندامة   على ما جنته حين يحضرها العقل
وان صدئت ارواحنا في جسومنا   فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل

وقد تهكم في قوله ايضاً :

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت   ويهود حيرى والمجوس مضلله
قسم الورى قسمين هذا عاقل   لادين فيه ودين لاعقل له

والمرجح انه كان متردداً في مذهبه وربما كان اقراره بالدين في اخريات ايامه كيف لا وهو القائل :

عجبي للطبيب يلحد في الخا   لق من بعد درسه التشريحا
ولقد علم المنجم ما يو   جب للدين ان يكون صريحا

رب روح كطائر القفص المسجون   ترجو بموتها التسريحا

ومن ذلك قوله :

اذكر الهك ان هببت من الكرى   واذا هممت بهجعة ورقاد
واحذر مجيئك في الحساب بزائف   فالله ربك الملك النقاد
تخشى جهنم دمعة من تائب   فتبوخ[1] وهي شديدة الايقاد
وقوله : ازول وليس في الخلاق شك   فلا تبكوا عليّ ولا تبكّوا
وقوله : لا ييأس من الثواب مراقب   لله في الايراد والاصدار
فترى بدائع آيات متحسساً   ان الجزاء بمبرهن في الدار

وشعره كله نحو هذا النمط من حرية الفكر والشكوى وله من القصائد الفخرية المشهورة وغيرها ما يجزئ عن ذكره الآن ومن نوادر قصائده ما نشرته مجلة المقتبس (٣: ٩٧ و٤: ٦٦٦) . وفي الجملة فان المعري دقيق التصور حتى يمثل لك احياناً اموراً لا يستطيع تمثيلها المصور وهاك الآن من فكاهاته ما يدل على سمو مخيلته من قوله في الفجر :

كأن سنا الفجرين لما تواليا   دم الاخوين زعفران وايدع
ألاح على تاليهما الصبح ماءه   فغيّر من الاشراق احمر مشبع
وقوله : كأن الليل حاربها ففيه   هلال مثل منعطف السنان
ومن ام النجوم عليه درع   يحاذر ان يمزقها الطعان
وقد بسطت الى الغرب الثريا   يداً تلقت بأقطعها الرهان
كأن يمينها سرقت شيئاً   ومقطوع على السرق البنان
وقوله يخرن عليّ الليل اذ كل حارة   يكون لها عند الصباح توالي
ولاح هلال مثل نون اجادها   بجاري النضار الكاتب ابن هلال

ولقد اعتنى كثير من الافرنج بجمع اشعاره وترجمتها الى لغاتهم مثل كارليل (Carlyle) المستشرق الانكليزي استاذ العربية في جامعة كمبردج في اواخر القرن الثامن عشر فانه ترجم بعض ابيات باللاتينية والانكليزية . وهكذا فعل المستشرق النمساوي فون كريمر Van Kremer فانه نشر مقالات كثيرة في (المجلة الجرمانية الآسيوية) عن ابي العلاء وافكاره وشعره ولها سنة ١٨٧٧م ثم الف كتاباً

---

(١) تخمد

بعنوان (اشعار ابي العلاء المعري الفلسفية) طبع في لندن سنة ١٨٨٨ نقل فيه نثراً اكثر من مائتي بيت من شعر المعري . ثم ترجم رباعياته بالانكليزية نظماً صديقي امين افندي الريحاني اللبناني بكتاب انتخبه من دواوينه الثلاثة وطبع في نيويورك سنة ١٩٠٣ في ١٤٤ صفحة صدره بمقدمة بحث فيها عن ابي العلاء وسيرته ومن رأيه ان عمر الخيام الشاعر الفارسي قد تخطاه وهما متعاصران . واختار موسى افندي بيكييف من افاضل قازان (روسيا) منتخبات من لزوميات المعري ونقلها الى التركية في نحو مائتي صفحة مطبوعة في اورنبورغ سنة ١٩٠٨م . واعتنى كثير من القدماء بدواوينه فان عبد الله بن السيد البطليوسي النحوي الاندلسي شرح سقط الزند شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان المسمى ضوء السقط . وكذلك التبريزي خريج المعري شرح سقط الزند .

وكان حسين بن الجزري شاعر بني سيفا امراء طرابلس الشام مغرماً بالمعري فكتب على ديوانه لزوم ما لا يلزم

ان كنت متخذاً لروحك مرشداً   فكتاب رب العالمين المكرم
او كنت مصطفياً حكيماً ناسكاً   سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

ودواوينه الثلاثة مطبوعة في مصر وسورية . وقد قابلت مجلة المقتطف الغراء بينه وبين ملتون الشاعر الانكليزي الضرير صاحب (الفردوس الضائع) راجع السنة العاشرة صفحة ٤٤٩ ومجلة الهلال الغراء ترجمته في السنة الخامسة عشرة صفحة ١٩٥ . وترجمه رضاء الدين افندي بن فخر الدين من علماء اورنبورغ في روسية بالتركية التترية في ٧٢ صفحة طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٩٠٨ . وغيرهم

ولقد كان المعري والمتنبي وابن هانئ ممن اختطوا خطة جديدة في الشعر لم ترق في عيون المحافظين على الاسلوب القديم فلذلك لم يسمحوا للمترشحين للنظم ان يتعدوهم كما في مقدمة ابن خلدون وغيرها فالمعري اشبه بفكتور هيكو عند الافرنسيين وكذلك صنواه .

٦ — نثره وكتبه

اهم ما وصل الينا من نثر المعري رسائله التي نشرت في بيروت سنة ١٨٩٤ مشروحة بقلم الاستاذ شاهين عطية اللبناني في ٢٤٠ صفحة . وفيها تكلف غريب واغراب في النثر لم تألفه العامة واليك الآن أمثلة منها تعرفه عند القراء :

فمن نثره قوله من رسالة «ان كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع · وللذكاء نار تشرق وتلمع · فقد فغمنا حتى بعد الدار أرج أدبه · وجلا الليل عنا ذكاؤه بليله · وحول الاسماع شنوفاً غير ذاهبة · واطلع في سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربة · » ومما كتبه الى صديق له سأله ان يتعهده في ترتيب المكاتبة «وقد أيقنت ان رسل نصيحته أبي إيثار · وان صواب رأيه عن غير ائتمار · ولما كتب في امر ابي فلان الا متشكراً ثم تثبت استزاد المعونة مذكراً · اذ كان ادام الله عزه لا يشير لسائله الى الوقت البعيد · ولا يضرب لراجيه رؤوس المواعيد » وكتب الى ابي القاسم المغربي جواباً عن فصل كتبه اليه وهو يرثيه «كلام يجري بالهمود · وأشرفت على الخمود · فنشرني الله بسلام يرد من حضرته يجعل ثري كالروضة الحزنية · والبارقة المزنية · ولو كنت من نفسي راضياً · لشرفتها بزيارة حضرته · ولكني عنها غير راض · وما اقرني الى اغراض · وقلما قضيت التراد · وتطلب المراد · قد عددت في اناس قيل فيهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون · فان نعمت او شقيت · فدعائي يتصل بحضرته ما بقيت اه» وكتب من رسالة «لو اتصلت كتب مولاي كتصل الامطار وتوالت توالي الانفاس لكنت بوليها · أمرني بوصفها وال مستأنفها · أشوق مني الى سالفها · وما يكتب الا في بر · ولا يحث على غير الصالحة في الجهر والسر · وما ادري ما اقول في السعادة التي قد رزقتها عنده حتى غطت معايبي · وسترت الاسدة التي أصرت بي · فما انكر بعدها ان تعد نفثات الدر لام الادراص · وان تضاع مناطق الذهب الرباح · وان يدعى المدعو ناز ريش ابن انقد سهم صائبة · وقنوات بريه · · · · » وقد اطال في بعض رسائله حتى ان المطالع يمل مطالعتها ولا يتجلد ليتم قراءتها واخصر رسائله ما اختصها بقوله

« كانت كتبي اليه كبارح الأروى تكون في الدهر مرة · والآن صارت كسوانح الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ومن الحذف قوله؟ ما قال بشار · وليس للعجف مثل الرد · وهذا سلام لو كان يوماً لكان يوم عرفة · او شهراً لكان لانقا اي شهر رمضان والسلام وحسبي الله وحده » وقد عني بطبع رسائل المعري هذه الأستاذ مرغليوث وترجمها بالانكليزية معلقاً عليها شروحاً مفيدة من ادبية وتاريخية مصدرة بترجمة المؤلف للمؤرخ شمس الدين الذهبي معتمداً على

نسخة في مكتبة ليدن قابلها على نسخة بيروت المشار اليها وقال انها ينقصها تسع رسائل وبعض العاشرة .

ومن نثره الذي بين ايدينا الآن (رسالة الغفران) وهي التي وصفها شمس الدين الذهبي في ترجمة المعري بقوله « له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف وله رسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك الانموذج » ارسلها الى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح [1] صدرها باشواق وتحيات ثم اشار الى وصول رسالته اليه واثنى عليها ثم استطرد الى وصف الجنة ونعيمها ومن دخلها من الشعراء والملائكة على اسلوب اشبه بالشعر القصصي الروائي عند الافرنج اليوم فجاء بعده باكثر من قرنين دانتي شاعر الايطاليين ونسج على منواله (الرواية الالهية) وملتون شاعر الانكليز (الفردوس الضائع) وغيرهما ولكنهما لم يحيطا باللغة مثله . وقد طبعت رسالة الغفران مصححة بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني في مصر سنة ١٩٠٧ م في ٢١٣ صفحة . ولها نسختان مخطوطتان احداهما في المكتبة الخديوية بمصر والثانية في مكتبة الكوبرلي في الاستانة . ولا بأس ان ننتخب منها الآن قوله في الشعر صفحة ٥٥ : « فقال وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة . فقلت الاشعار جمع شعر . والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط ان زاد او نقص ابانه الحس . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات فجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب »
ومن قوله في اللغة صفحة ٩٣

« والباب فيما كان مضاعفا متعديا ان يجيء بالضم كقولك عددت اعد ورددت ارد وقد جاءت اشياء نوادر كقولهم شددت الحبل اشده واشده ونممت الحديث انم وانم وعللت القوم اعل واعل . واذا كان غير متعد فالباب الكسر كقولهم حل عليه الدين يحل وحل الامر يحل . والضم في غير المتعدي اكثر من الكسر فيما كان متعديا كقولهم شح يشح ويشح وشب الفرس يشب ويشب وصح الامر يصح ويصح وفحت الحية تفح وتفح وجم الماء يجم ويجم وجد في الامر يجد ويجد في حروف كثيرة اه »

وللمعري مؤلفات كثيرة غير ما ذكر اشار اليها الحاج خليفة في كشف الظنون اهمها ظهير العضدي في النحو . والفصول والغايات . وتليد الغابات . وكتاب الفصول . وكتاب

---

[1] وقد اراني صاحب مجلة المقتبس نسخة من رسالة ابن القارح هذه سينشرها قريباً .

السادن · وقاضي الحق · والقائف على مثال كليلة ودمنة وتفسير منار القائف · ومدح الامراء · وملقى السبيل في المواعظ · والمواعظ الستية ونظم السور · والحقير النافع في النحو · وخطب الخيل عن ألسنتها · ورسائل المعونة · والصاهل والشاحج · وزجر النابح يتعلق بلزوم ما لا يلزم · والسجعات العشر في الوعظ · وسجع الحمائم · والسجع السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء · وسجع الفقيه · وسجع المضطرين عمله لرجل تاجر يستعين به على دنياه · وشرف السيف عمله لأمير الجيوش · واعم مؤلفاته الايك والغصون او الهمزة والردف لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب الا احصاها يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم · الى غير ذلك مما يغني قليله عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي حقها لنا رحمه الله تنشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجبت ان تسع المعرة قبره ◦ ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته ◦ ما استكثرت فيه فكيف الادمع

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

اراد المنفلوطي في كلامه هذا ان يخطئ الامام بأن ما دعا اليه من المبادئ الدينية لم يجئ عهد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المبادئ جاعلاً ذلك علة الملل في اعتقادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أُعيذ المنفلوطي عن ان يخدع فكره بمثله من الاوهام والخيالات التي [illegible] فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار ·

لا يستطيع صاحب النظرات مع العلم ان ينكر ان جل الدعاة ان لم نقل كلهم انجبهم الدهر وولدتهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يقارع بعضها بعضاً في ميدان الحياة · ومن هنا تعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق الضيقة ولهم متى قاموا بفكرة اصلاحية لابد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الطريق العوائق ما يستهدفون معه لضروب الايذاء فيقومون بين مخالب الطعن والنقد حتى تتسرب

الفكرة الى بعض من يعمل على نشرها في سرهم وجهرهم ليبقوا من بعدهم هذا حية حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم ممن تجد لها من عقولهم مادة تتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويسعون وراء اشرابه النفوس ما وجدوا الى ذلك سبيلا ·

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأيدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية · واذا لم يكن الامر كذلك فليدلنا المنفلوطي برهاناً يبين مصلحاً قام بفكرة جديدة ولم يقم في وجهه في نشأته حتى من بني جلدته من يعمل على محاربته ومناهضته بكل ما لديهم من قوة وقدرة ·

وبالله كيف جاز له ان يحكم على ان المبادىء السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يحن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يلقنها ويبذها او انها انتشرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالا ومن نورها دجى حالكاً · وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويتدارسون كتبه · لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الى فئة ضالة مضلة لابد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم ما اراد الاستاذ الامام او اشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الى الالحاد واصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ما ابطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرق مارق الا بجهله بالاصول الصحيحة ونبذه النظر السديد وسلوك جوادّه القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المناوئين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولا عالم بارشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قوبلت وشاعت بالمناهضة ثوت في ثرى الرمس قبل ان يحمد القائم بها ولما كنا رأينا كتاباً منزلا ولا ديناً غضاً ولا علماً صحيحاً وبالجملة ما كانت للامم مدنية زاهرة ولا عمران زاهر ·

ولا وجه للانكار على هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لا نكران فيه في كل تأويل جرى اللسان في مثله وسمحته اللغة وهي لثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز ما يربو على الحقيقة حتى صرح ائمة البيان أن المجاز اكثر من الحقيقة · ولو اعار نظره الى من سبق ذاك الامام في مسألة الجن والملك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهاني والكاشاني ونحوهم لما اكبر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه « مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن » وافاض في هذه المسألة بما لا يبقى معه ريبة لمرتاب فليرجع اليه من شاء (١)

واما ما قام به الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذلك فن قديم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالائمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها . وقد اخذوا على انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين مؤاخ للعقل موازر للحكمة ليس فيه ما يبعد عن العقل او يند عن الفهم وحجتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك في آيات لا تحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب « التعليل » وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فألف كتابه المشهور « حجة الله البالغة » وافرغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافلين .

ولقد سفه المنفلوطي رأي قاسم بك امين ايضاً ونعى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجهل الى ان تلم بمعرفة ما يلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع تدبر شؤون منزلها او تضرب في الارض لترتزق ان عضها ناب الفقر وقعدت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم يدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — الا حدية ان تمزق الحجاب وهي من اجل المرح بمكان .

وما ذنب قاسم بك ان يبدي رأيه ويؤيده لكيد الكائدين من تجار الادب والدين « والمرأة اخذت بالاسهل من رأيه والالصق بنفسها من صبغته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان تنسج لها برقعاً من الادب والحياء »

ومما لا مشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام نوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقيمت له النصب والدمى — وان كان صاحب النظرات لا يقول بالتماثيل — احتفاء به واعترافاً ببيض اياديه وسابقة فضل عليهم ولو كان المنفلوطي يقدر على العامل وفضل العامل لما جرأ على ان يقول فيه : « ما رأيت باطلاً اشبه بالحق من باطله » (٢)

---

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد السادس من هذه المجلة ثم افرد منها كتاب خاص على حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٢٣٢

— ٣ —

آراؤه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذاهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني ومما قاله: ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا: «ايها الرجال، لا ترهقوا النشء الصغار على ان يفكروا كما تفكرون ويعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والحرية المطلقة التي هي في مذهب العقل غاية العبودية ومنتهى الاسترقاق الخ ...» — ان ما قاله روسو تعرض له المنفلوطي في فصل له عنوانه «مدينة السعادة»(١) «واغرب ما لفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذلك التمايز الذي اعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازيائهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة»

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تتجلى في اشدها في هذا الفصل في قوله: «وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقتات منها ودابة تحمل اثقاله ثم لا شأن له فيما سوى ذلك»

وقالوا: «يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تغرس مبادئ الجهالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته»(٢) والمنفلوطي يقول: «واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأبر بأبنائنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم وتمرينهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع نعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يستنبتونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ...»

والجملة فمن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم. فالشطر الاكبر من الفلسفة التي بشر بها هي فلسفة خيالية لا تأثير لها في ابناء القرن العشرين الا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية. وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة ويزيد فلن تجد لها صاحباً من هذا الجيل الجديد الناشئ على افكار داروين وهيكل وهكسلي وسبنسر ورانكي ومومسن وامثالهم ولا نصيراً وظهيراً لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية.

---

(١) ص — ٣٨ (٢) التربية الاستقلالية

وقد ذهب مذهب (اسكندر دوما فيس) الفيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته « غرفة الاحزان (١) » في المرأة المجرمة من حيث انهم يمهدون لها الاعذار ويرون الرجل اجدر بالملامة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو المذنب هم بها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها السوء فخدعها اذ واعدها ان تكون له زوجة ويكون لها بعلا فسلبها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضطرب وبين جنبيها نارا تضطرم وكان سبب شقائها حتى اصبحت حزينة ذليلة تفضل الموت على عيش لا تستطيع معه ان تكون زوجة لرجل او اما لولد واخذ المجتمع البشري يتهكم بها ويعبث ما زادها حزنا واكتئابا .

وقد مثل لنا هذه الفتاة وقد تركت وراءها ما تراه من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متمتعة فيه بعشرة امها وابيها الى منزل حقير في حي مهجور لا يعرفه احد ولا يطرقه طارق تنقضي فيه البقية الباقية من حياتها .

ولم يكتف ببيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزنا لفقدها ويأسا من لقائها وختم الحادثة بان اضاف الى تلك الجنايات جناية اخرى وهي هلاك المرأة المجرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيبتها حتى ساورتها الهموم ونالت منها منالا اودى بحياتها وهكذا ضاعف الجرم على الرجل وجعله كاذبا وخادعا ولصا وقاتلا وختم المقالة وهو يحض الرجال القاسية قلوبهم النصح بالرفق بضعيفات النفوس من النساء .

والظاهر ان الاستاذ المنفلوطي كان لا ينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان همه حين يأتي الى وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فبينا نرى صفحات مقالة هذه مكتظة بما يملأ النفوس شفقة ورحمة وعطفا وحنانا على العاهرات اذ به يضن عليها بجندي يقف لحفظها ممن يريد ان يسلبها من الحقوق ما لم يبق لها منها الا الذماء ويستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف .

ولقد رأيناه وهو يتكلم على « المرقص » في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة ويجدد غيظا وحنقا لان هذه الحكومة المدنية المادية (على رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستتبابه تبعث بجندي يحمي ابواب العاهرات لئلا يعبث العابثون بالامن والسكينة او يعيثوا في الارض فسادا .

---

(١) ص — ١٤٢

ومما قال : (١) « ان العين لا تكاد تملك دمعها حنانا وتذرافا كلما ابصرت هذا الجندي الشريف واقفا هذا الموقف الذليل يسمع قراع الدفوف ، لا قراع السيوف ، ويرى حمرة الصهباء لا حمرة الدماء ويحمي الفسق والفجور لا القلاع والثغور . وما اعجب لشيء عجبي هذه الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلمسه لامس فتغضب له غضبة مضرية تتراءى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لا تضن ان تؤجره نائحة في الجنائز او قوادة في المراقص »

هذا ما قاله المنفلوطي وما يحدوه الى هذا الا وده ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي القاه على الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!!

وما اراه في مبدإه هذا الا كتولستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يهيج هائجه على الحكومة الروسية ويرميها بالمعرة والدعارة لانها تبعث بالاطباء الى المواخير العامة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جراثيم الادواء المعدية من هؤلاء البغيات الباغيات فتعم الشعب بأسره وتراه يرمي الاطباء بكل مكروه بدعوى انهم يدعمون وراء اشاعة الموبقات وتسهيل اسباب الفسق والفجور (٢)

ويقضي علينا الاخذ برأي هذا المصلح الاخلاقي الروسي ان نهمل تعهد اماكن الفسق والمواخير وان ندع الجراثيم تفتك بمن تملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الوبيلة في الامة حتى تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد والخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض على التزوج بها (٣) ليعيد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفجوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدها . على شرط ان يكون الباعث على الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان ينزع من جنبيها ملكة الفساد الراسخة في نفسها و يداخلها مداخلة المؤدب المهذب الذي يصور في نظرها معيشة الفساد بصورة تنفر منها وتشمئز لها .

ومما قال : « ليت الرجال يأتمرون جميعاً على ان ينقذوا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عائلها الى البغاء »

---

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستوي (٣) مقالة الاحسان في الزواج ص — ٢١٤

وقد صرح في هذه المقالة ان [illegible] النبي [illegible] [illegible] الاجل لجدير به ان يغره ما ينفعه ويصلح ما افسد » وتعرض لمرآة [illegible] في مقالة العقوبة(١) فكان بين جنبيه جذوة من الحقد والموجدة تتقد على الجيل لانه قضاء وعلى المجتمع الانساني لانه لا يعاقب القاتل على جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقته بالجرائد المصرية ضعيفة جداً [illegible] من ادوات القمار والكتاب جماعة اللاعبين والرؤوس المصرية موضوعة على مائدة الالعاب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البليارد)

والسيد مصطفى [illegible] معتدل يفضل اتفاق الاحزاب السياسية على اختلافها وتنافرها على تناكرها ما دامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء(٢) وليس بين الفريقين من الفرق الا ان هؤلاء لا يعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وافكارهم واولئك [illegible] في كيفية القضاء الحكمة اليوم وسمعهم ورؤاهم وعقلهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال ولا ان كان الاول في اسلوب محمود ومقال الثاني في تعبير مبتذل .

يقول قوله هذا ثم يكتب في مقالة « موت العظماء » ما نصه :(٣) « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي نراها لا [illegible] [illegible] رتعوا الا [illegible] واذكياؤها الذين يقودونها الى الخير ويأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فليت شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فماذا ينعى على امته وابناء دياره ويجعلهم بمنزلة الحيوانات العجم البهيم العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان ادنى العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه حينئذ جامعاً للتناقض في الاحكام .

* * *

لغة

لم ارَ فيما رأيت من الكتب الممتعة التي وعت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر اكثر معاني واشائه افصح لغة ولا اصح تركيباً من كتاب « النظرات »

فانك ترى على فصوله مسحة العربية الاولى وقد سلكت في الكتاب من ركاكات الكتاب

---

(١) ص — ٤٠٥ (٢) ص — ٢٤٣ (٣) ص ٣٥٦

المعقد والمبتذل من تراكيبهم وجملهم المتعاظلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن انسلخت بها عن العربية الخالصة حتى اصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان العربي المبين .

بيد انا نرى من الواجب ان لا نمسك القلم في تقدمنا اياه من سقطاته في جمل نزلت منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كان الاجدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون مصوناً عنها .

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعدياً بالباء والعرب لا يعرفونه الا متعدياً بنفسه في قوله في مقالة « اليتيم » : « من العجز ان يزدري المرء بنفسه » واستعماله (الوظيفة) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية » والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا قدمت اضيفت الى ما بعدها ونسبته « بديهة » الى « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدهي) كما يقول في « بجيلة » (بجلي) واستعماله (تلاءم) بمعنى التناسب في قوله في مقالة الجمال « غير متناسبة ولا متلائمة » وقوله : « ويحبس عليها الهها » فان حبس هنا لا تتعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « على » كانت بمعنى « الوقف » واستعماله « البسيطة » بمعنى « الساذج » وقوله « ودققت النظر » والعرب تقول : « دقق الشيء اذا اتم دقه » واستعماله « ترقى » بدلاً « رقي » وجمعه لفظة « مثل » على « امثلة » والمسموع « امثال » وقوله « في السنة العامة » والصواب « على السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تعرج » عوضاً عن « تموج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لا تفتدى الا الحياة » وهي عامية والافصح « ولا تفتدى الا بالحياة » وادخاله واو الحال على المضارع بعد الا كما انها لا تدخل على المضارع المثبت في قوله « فما رأيت سطوراً مقطوعة الاواسط متشابهة الاطراف الا وقرأتها » وقوله « نهشه في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض » بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسان » والصواب « يودعه الله فطرة » الخ .....

هذا ما رأينا ان ننبه على ما ورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجمل مما لا عهد للعرب به كما ان ثمة الفاظاً اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدلاً (المسارح)

و « الباونات » [illegible] من « [illegible] » او « البيكوريات » [illegible] « الجرانيم »، و « الطاولة » بدل « المنضدة »

والعقل يغتفر له هذه الهنات البسيطة اذا عرف ان الكاتب من ظهر في امة تعطل خطباؤها وادباؤها وكتابها يرون ان في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاية عن ان يجددوا الحرب العوان في مناحي اساليبهم واقلامهم وقد في [illegible] سون .

— ٥ —

وصفه

وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه نابغا وسابقا . والحق لاقرأ القطعة الادبية فيخيل الي من فرط ما فيها من الروعة انها من [illegible] فتهب لي [illegible] الا اكاد اتم قراءتها حتى [illegible] المرة بعد الاخرى وحمدت الله ان وجد في هذا العصر من ينفخ في هذا الهيكل البالي من الادب روحا جديدة ليحيا حياة رغد وهناء .

قال في مناجاة الليل (١) « الليل بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصطخب امواجه فما يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر او الموت الاحمر »

« ولقد خفي الليل على الناس ودق شخصه على الابصار حتى لو ان انسانا رفع قدمه ليضعها لا يدري ايضعها على عتبة القصر او على حافة القبر »

« الليل صدر مملوء بالاسرار الغزار تموج فيه الهواجس وتتساقط الفتول ، [illegible] تندرجه الانظار فلا يبوح بسر من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال »

« كأن الليل [illegible] كامن في مكمنه رابض في عرشه متلفع بفضل ازاره ينظر الى الناس وما يأتون من الرزق والسخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه لو علم هذا الجامع انه يجمع لوارث بعده لما بات الليل يبني المحراب ، وهذا الوالد انه يلد للموت ما جمع الجامع ولا بنى الباني ولا ولد الوالد »

الى ان قال : « ايها الشيخ الشائب [illegible] العيب ، هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلا لنرى لمحة واحدة من لمحات وجهك . اولا [illegible] فانا نستطيع ان نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت القلوب شوقا اليك ، وذابت الاكباد وجدا عليك »

[illegible] الليل ، [illegible] آمالا كبارا وصغارا ، [illegible] وغير [illegible] . تحدثنا عن

---

(١) ص — ١

آتيا الى مكانها ذلك ، وحدثنا عن ابنائها ماذا صنعت بها آلامها واحزانها ، ام كنت لا من الكاذبين . لا لا ، صن سرك في صدرك وابق كتمك في وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آلامها وامانيها حتى لا تفجعنا فيها فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا فاننا نعيش بالآمال وان كانت باطلة ، ونسعد بالاماني وان كانت كاذبة »

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي اوردناها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف ومبلغ ما وهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري او الشعر المنثور .

والمنفلوطي في بعض فصول كتابه تشابيه حية واستعارات جديدة ربما غمضت على عقول من اعتادوا تمجيد القديم من الأساليب او تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرضوا لها شأناً ولم يقيموا لها وزناً كقوله : [1] « فتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني [illegible] و [illegible] . الا الامل فلو كان [illegible] رأيت فاطمة (رضي الله عنها) وضع في جوف الليل ابنيها وابنيها من الجوع مادا اصبعيه الى ادويه ثمة يده الى فاه التحجر لا تمتد اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكر الشيء صفة القلب بالتحجر وعد حمله الاحسان نسمات اغراقاً منه في التجوز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون .

ومثل قوله « لقد عقد رياء الناس امام عيني سحابة سوداء اظلم لها بصري حتى ما احد في صفحة السماء نجماً لامعاً ولا كوكباً ساطعاً » وقوله « دوي [illegible] من نجيع » وقوله « بهذه الصواعق التي يمطرونها علينا من سماء الصحف » ومن جميل الحيلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الآفاق حتى رأيتني احير من دمعة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويردها الحياء . لا ادري هل انا اسير كامن في بطن الظلماء او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « هنالك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فيثلج صدره ويطفئ لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها المحزون : « انت حزين لانك كنت راجياً من الامل كان يتراءى لك في سماء حياتك فيملأ عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما في الامر ان الطرف الذي افتقدته فوجدته » وقوله : « الابتسامة حادثة » الخ . . .

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان » [2] ايما اجادة حتى ان قارئ القصة ليجد الرهان بنفسه بعد قراءته لها في دمعة تترقرق في جفنه تنم عن عواطفه وشعوره . ومما هي

---

(١) في الفضيلة ص — ١٧ (٢) ص — ١٤٣

لو علمت ؟ لا حاجة الى [illegible] حط [illegible] بالحب يتدفق شعراً وشعوراً . ولا يسعه الا ان يكبر ذلك الوصف الذي لم [illegible] اطراف الحادثة اكباراً فكان جامعاً الى الشعر [illegible] من [illegible] الآلام وعطفاً [illegible] عن النفس السامية من شوائب [illegible] .

— ٦ —

روح المؤلف

اذا صحت النظرية القائلة ان الكتابة صورة الكاتب ، جاز لنا ان نحكم ان المنفلوطي [illegible] من حملة التشاؤم Pessimistes ولكن لا بمذهب من المذاهب الفلسفية او [illegible] او السياسية بل هو من يرى ان لا سعادة في الحياة ولا هناء وان من العبث ان [illegible] المرء [illegible] الى التمسك في معترك الحياة بأدوات الرذائل آخذة من النفوس مأخذها وان [illegible] الأسعدين [illegible] بالفضيلة وهي ليس لها ظل في هذا الوجود .

هو ينظر الى المجتمع نظر [illegible] لانه يعتقد (١) « مصائب البشر سببها [illegible] والاضطراب في [illegible] ولا [illegible] وهو يسمي الفقير سافلاً ويحب [illegible] ظاهر السريرة [illegible] والحليم [illegible] » .

ذلك الذي [illegible] روح [illegible] وما يشعر او يفكر به هو [illegible] من [illegible] المشارقة [illegible] وكثيراً [illegible] الكتاب من هؤلاء نفسه [illegible] وكنت [illegible] من سطوره [illegible] الى هذه [illegible] التي [illegible] مثل [illegible] قول الشاعر العربي الحكيم :

[illegible] من [illegible] اسود من [illegible]
[illegible] [illegible] سير [illegible]
[illegible] طريق [illegible] هذا البقاء
[illegible] [illegible] النفوس [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] النفوس [illegible]
[illegible] [illegible] لاداء [illegible] والآباء

---

(١) مقالة الشرف — ص — ١٥٢

نحن ولولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء — الخ ...

بدا لك كل هذا التشاؤم وأنت تقرأ مقالة « [illegible] البيضاء » [illegible] في [illegible] صورة المشيب التي [illegible] فخاطبها مواطباً [illegible] تدنيه من الموت، ويلح في تأنيبها وتعنيفها، وأغرق في عتبها ولومها، ثم رجع بعد ذلك لنفسه يؤنبه ندماً على ما فرط منه بحقها وأخذ يخاطبها قائلاً : « ما الذي يحمله في صدره لك من الحقد والموجدة رجل لم يتم شبابه فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة الممات، ولم يستنشق نسمات السعادة غضارتها فيأسى عليها بؤساً بائساً »

« ما الذي ينقمه عليك من الشيوخ رجل هو الموحي الأمل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء إلا لمحات قليلة يكدرها ما يحيط بها من الهموم والأكدار كما تكدر أنفاس الحزين الحارة صفحة المرآة »

« ليس كل ما أعده عليك من الذنوب أنك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام، الحافل بالآلام والأسقام، الذي لا أغمض عيني فيه إلا لأفتحها على صديق يغدر بصديقه، وأخ يخون أخاه، وعشير يجدد الإيذاء ليخدع عشيره، وغني يشبع على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى سأمه الموت فلا يظفر بأمنية، وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته، ومملوك لا يميز بين ملك الملك ورب [illegible] ونفوس تتهافت قتلاً على [illegible] مائل، وظل زائل، وغرض [illegible]، وعيش باطل وعقول تتهافت وجداً على [illegible]، والناس فوق الهام عيون حائرة في رؤوس ملأى تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها »

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها شؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤونهم وأطوارهم وأحوالهم. ولولا أنه « لا يقول إلا ما يعتقد ولا يعتقد إلا ما يسمعه صداه من جوانب نفسه » (٢) لقلنا إنها خطرات شاعر وجدت لها من مياه خياله مجالاً) ثم ما لبثت أن أدركها الغروب. أما وإن هذا الكلام هو صورة من صور نفسه فلا جرم أنها حالة نفسية كثيراً ما تعرو من يميلون إلى التجرد عن المادة ويرون في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرعد والسرور! ...

دمشق : صلاح الدين القاسمي

(١) ص — ٥ (٢) [illegible] آداب المناظرة ص — ٢١٠

إلى العرب [١]

يا معشر العرب الكرام تحية   [illegible] النسيم بها فبات عليلا
[illegible] لولا الشمس [illegible] دلها   [illegible] السطور مسيلا
من شاعر لولا هواه ولومه   ما كان يرضى [illegible] ظليلا
[illegible] وبات القلب [illegible]   يوم الوشاة [illegible] مشغولا
زادوا ولوعاً بالسلام واسرفوا   به فردت [illegible] تقبيلا
تلك القلوب بأكثر من [illegible]   [illegible] من برد الى معسولا
الى الأخرين [illegible] أودت حديثهم   حتى كأنك [illegible] أودت [illegible]
[illegible] عدت هرام   ديناً [illegible] قليلا
والناس [illegible] في أوطانهم   متسابقون [illegible] وميولا
ولرب محسوس ترى آثاره   ليست لنا كل النفوس [illegible]
[illegible] يندو لها [illegible]   [illegible] الحزين عويلا

* * *

[illegible] واستزيدوا من [illegible] الشيا   [illegible] يوم [illegible] اصيلا
ردوا على الشرق القديم شبابه   فالأمر بات لأمركم موكولا
[illegible] الحكم [illegible]   [illegible] الرجاء [illegible] مأمولا
واحموا [illegible] وحسبكم   يوم [illegible] وفصولا
لا تيأسوا [illegible] الأزرق   وخذوا على [illegible] النفوس دليلا
[illegible] لا يزال طلابه   أبداً [illegible] الرجا موصولا
[illegible] بالحضارة [illegible]   [illegible] الهجيع [illegible]
وإذا [illegible] وعن [illegible]   [illegible] الآيات [illegible] كفيلا

* * *

[illegible] الى [illegible] العلاء [illegible]   الجو [illegible] الشاهقات سهولا
[illegible] العثرات واصطبروا [illegible]   [illegible] أن [illegible] يعش مرذولا

---

[١] القيت في احدى الحفلات

والمجد مطلب شديد فاطلبوا عزماً يذلل صعبه تذليلا

* * *

واستشهدوا التاريخ اصدق مخبر بالغابرات من العصور الاولى
ايام تنحدر الجياد شوازباً يضربن عرضاً في البلاد وطولا
يحملن ابطال الجزيرة مثلما كالاسد ازعجها اختلاط الغيلا
من كل اروع مثلما تهوى العلى كالسيف يخفي الافرند صقيلا
تلقاه يؤثر ان يموت مكرماً عن ان يمتع بالحياة ذليلا
فتحوا البلاد وادوت اسيافهم في كل ارض رنة وصليلا
بيض اذا انتضيت ليوم كريهة وردت طلاهن الدم المطلولا
كتبوا بها في الدهر آية سؤدد لا تقبل التحريف والتأويلا

* * *

ذودوا عن اللغة التي وردت بها آيات الكتاب وانزلت تنزيلا
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم فتعهدوها بكرة واصيلا
وحياتكم يا قوم فاحتفظوا بها او ترتضون عن الحياة بديلا

* * *

لا تحسبوا الدستور يسعدكم اذا لم تسلكوه للرقي سبيلا
واذا الصباح بدا ولم تك مبصراً لم يجدنا فلق الصباح فتيلا
فاسترشدوا بالعلم واصغوا له وتدارسوا المعقول والمنقولا
وابنوا المدارس في البلاد كأنها زهر تروع من الظلام سدولا
وهي الكفيلة حين يعمر ربعها للاطفال من الزمان السولا
وتكاتفوا في السعي لا تتخاذلوا ليبيت كل خاذلا مخذولا
وتعهدوا الاخلاق فهي اذا التوت تركت ممردة الصروح طلولا
ما كان تحرير الرقاب بنافع ان لم نحرر انفساً وعقولا

دمشق : جرجي الحداد

الكتابة والكتب ودورها[١]

أفرأيتم المصريين الاقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفي بطون المغارات وعلى احجار البرابي والاهرام والمسلات ؟

ام هل اتاكم حديث الاشوريين ؟ فقد اكتشف المنقبون في هذه الايام مصاحفهم مرقومة على اللبن ، وهو الطوب النيء او المطبوخ . وذلك لان ارض ما بين النهرين مكونة من طمي دجلة والفرات فليس فيها جبل ولا حجر . ولكن ذلك لم يكن حجر عثرة في سبيل الغرام بالكتب . فصاروا يرقمون بالمسمار على الطين وهو نيء ثم يطبخونه في النار ، استبقاء لكتابتهم على مر الادهار والاعصار

ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم وطم ، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة ، واحسوا بما في النقش على الاحجار من الصعوبة ، فعادوا الى الطبيعة ، وهي الهادي الاكبر للبشر ، فأخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحا للكتابة ، وهاهي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة ، واكثرها في متاحف اوربا ، واما الصين والهند فقد كفتهم دودة القز هذه المؤونة ، في القيام بما يدعوهم اليه الولوع بالكتب والكتابة ، واذا نظرت الى بني الاصفر واعني بهم اليونان والرومان تجدهم قد استعانوا بالحيوان ، فدبغوا الجلود وصنعوا منها ما يسمونه بالرقوق

واول من استنبط ذلك الاغارقة من اهل فرغامة ، وهي مدينة بآسيا الصغرى تسمى عندهم برغامة **Pergame** فصار اسمها علما على هذا المصنوع من الرقوق ، ولا يزال باقيا عند جميع الافرنج الى الآن . فان اهل ايطاليا يسمون الرق (بفتح الراء) برغامينو Pergamino اي الفرغامي لان العرب تقلب الباء الفارسية الى الفاء لقرب المخرج كما قالوا في Platon افلاطون وهكذا . واما الاسم العربي فهو مأخوذ من ترقيق الجلد بعد دبغه .

اما العرب فبلادهم جرداء قحلاء لم ينقشوا على الاحجار ، ولم يطبخوا الطين على النار ، ولم يهتدوا الى صناعة الترقيق . ولكن ذلك لم يكن حائلا دون غرامهم بالكتابة والكتب . فكانوا قبل الاسلام وفي عصر النبوة يكتبون في عسب النخل اي السعوف

---

(١) من محاضرة لاحمد بك زكي احد الباحثين العاملين في عصرنا القاها في نادي موظفي الحكومة في الاسكندرية في شهر رمضان الماضي

الحرير لكثرة هذه الشجرة المباركة في بلادهم . ويكتبون على الواح العظام (وكثرتها ناشئة عن ذبح الاضاحي) او يكتبون على نوع من الاحجار المصقولة التي يلتقطونها من قيعان اوديتهم .

والف بالكلام على العرب دون سواهم من الامم الاخرى . فانهم ما نشئوا في خلافة الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء ، ان انتشروا في الارض فاخذوا عن اهلها اساليب الحضارة . ثم احتاجوا الى التبسط في الكتابة ، لاتساع الملك واستبحار العمران . فكتبوا في العراق على الحرير وسموه بالمهرق . وكتبوا في مصر على البردي ولا تزال آثاره باقية في اوربا وبعضها في القاهرة في دار الكتب الخديوية . وكانوا يكتبون على هذا البردي باللغة العربية وحدها تارة ، ومصحوبة بالترجمة الرومية او القبطية تارة اخرى . ولا تزال هذه سنة مطردة في ديارنا ، التي بها سنة الاحتياج الى تعيين مثال ذلك : الاعلام واوراق البردي في عهد اليونان ، نراها مكتوبة بلغتهم وباللسان المصري القديم ، وفي عهد الرومان حل اللسان اللاطيني محل اليوناني . حتى جاء العرب فكان من شأنهم ما ذكرنا . ثم انقضت مدة طويلة من ايام الطولون الى آخر الدولة الايوبية مستقل فيها اللسان العربي . حتى جاءت دولة المماليك العربية والجركسية فاندمجت في اللغة العربية بعض الالفاظ والاصطلاحات دخيلة من التركية . ثم جاءت دولة العثمانيين فكانت السيادة في مصر للماليك الاتراك حينئذ فانتشرت اللغة التركية وصارت تزاحم لغة البلاد . واستمر الحال على ذلك بعد جلوس الفرد الفذ المطير « محمد علي » نابغة العصر الجديد الى ايام سعيد . وبعد ذلك بدأت الفرنساوية تحل محل التركية . وها هي الآن تتأخر في الميدان امام اللغة الانكليزية . والحق يقال ان لغة البلاد اخذت في الانتعاش كثيراً بفضل خديوينا المحبوب عباس الثاني وبفضل حكومته الرشيدة السعيدة . وبفضل المجلات والجرائد [illegible] حسنة جليلة من اكبر محاسن الحكومة الحاضرة يرتفع بها منار هذا اللسان وتخلد معها آداب العرب وعلومهم .

نرجع الى الكتابة والكتب فنقول ان العرب ما لبثوا ان استخدموا الجلود بعد ترقيها وكان من مزاياها عندهم انهم كانوا يغسلونها ويجددون الكتابة عليها . فرأوا ان ذلك ان كان صالحاً في بعض المعاملات الوقتية ففيه ضرر كبير على العلم كما رأوا من جهة اخرى ان الحرير يدعو الى مؤونة كبيرة مع ان الحاجة ماسة الى الاكثار منه ومن الرق بل رأوا في ايام هارون الرشيد انهم كانوا مقلدين لغيرهم من الامم وان ما وصلوا

اليه من الحضارة والعمران يوجب عليهم الاخذ باسباب الاختراع والاستنباط . فكانوا اول من اصطنع الورق على هذا الشكل الباقي الى ايامنا هذه وسموا ذلك تجاراً . وقد سموه الكاغد (١) ثم القرطاس ثم شاع اسم الورق وانتشرت معامل الورق من الحرفة اي من الكوفة في سمرقند وبغداد والقاهرة ودمياط ثم انتقل الى بلاد المغرب فكان لهذه الصناعة شأن كبير في بلاد الاندلس واشتهرت مدينة شاطبة بمعاملها ومصنوعاتها التي فاقت في الجودة والاحسان والاتقان وزادت على مطامعه اهل المشرق من هذا القبيل ومن شاطبة كان الكاغد يحمل الى سائر بلاد الاندلس . ومن هناك انتقل الى اوربة (فرنسا) ثم الى بقية دول اوربا وقد انتهى القوم في هذه الايام الى نهايات بعيدة بالاختراع وتوالى في ذلك العجب العجاب حتى صاروا يصنعونه من الاخشاب وانعدمت هذه الصناعة في ديار الشرق كما انحطت في غيرها وفي غيرها

حينئذ توفرت عند العرب الاسباب المادية والعقلية فابدعوا في التصنيف واغربوا في التأليف وتهافتوا الى جمع الكتب وتنافس في ذلك السلطان والسوقة والخاصة والعامة والرجال والنساء وجميع الطبقات حتى كثرت دور الكتب في القاهرة وامهات

---

(١) اما الكاغد فهو لفظ فارسي وقد كان لهذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية ايام العباسيين لان الفرس هم الذين رفعوا قواعدها وشدوا دعائمها وكان رجالاتهم هم المدونين لامرها في اول قيامها ثم في ايام الخليفة السابع وهو المأمون بن هرون . وفي ايامه اخذوا ايضاً عن الروم علومهم ومعارفهم فنقلوا لفظة Carta اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا قرطاس والغريب في هذا الموضوع ان ائمة اللغة نصوا على ان القرطاس يقال بضم القاف او بكسرها واجمعوا على ان الفتح لغة ليس بواحد . وهو امر غريب لان الفتح اقرب على اللسان واقرب الى الاصل . وهذه اللفظة عربها المصريون في ايام محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالوا خريطة محاكاة للفظة على الطريقة اليونانية للدلالة على المصورات الجغرافية التي سماها ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بلوح الرسم والتي ورد اسمها في بعض نسخ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي هكذا (لوح الترسيم) وانا اظن كثيراً ان هذه اللفظة من تحريف الناسخ او المناسخ وان صحتها لوح الرسم كما رأيته في موصوفات ابن فضل التي ذكرتها لكم . ثم ان المتعربين في اللغة عربوا لفظة خريطة فقالوا خريطة وخرائط وما دروا ان ذلك الامر موضوع بطبعة الانسان ولكن قد كان ما كان

المدائن المصرية بدرجة لا نتصورها الآن لأن بلادنا اصبحت خلواً منها بالمرة لولا تلك البقية القليلة الباقية في دار الكتب الخديوية وفي الازهر الشريف وتليها المكتبة الحديثة التي انشأتها البلدية في الاسكندرية . اما البيوتات فقد اصبح عددها اقل من اصابع اليد الواحدة واولها بيت السادات يتلوه بيت البكري فبيت المرحوم رفاعة وعبد الله فكري . واما الافراد فقد قلبت النظر فلم ار غير المرحوم لطيف باشا سليم وبعده الفاضل احمد بك تيمور

وقد اردت ان احوي على هذا المنوال وان كانت خطواتي صغيرة ويدي قصيرة ولكني خشيت ان تذهب مجموعتي من بعدي للعطار والزيات والبقال او تتفرق شذر مذر كما حصل للمجموعة النفيسة التي كانت تزدان بها دار المرحوم علي مبارك باشا في حياته . لذلك جعلتها من الآن خاصة بالامة ولا ازال دائباً الى آخر ساعة من حياتي في توسيع نطاقها والزيادة فيها

اذا رجعنا بمصر الى التاريخ رأيناه يحدثنا عن دور الكتب في القاهرة فتأخذنا لوعة لمجرد هذا الوصف ونبكي على ذهاب العين والاثر

فدور الكتب التي اسسها الفواطم يحدثنا المقريزي عنها بما يثير الاشجان ويستمطر الدموع من الآماق . فقد كان في قصر الخلافة وحده اربعون خزانة كانت فيها النوادر والمخطوطات اخذ معظمها بعض الموظفين وبعض الاجناد الاتراك بدل مرتباتهم في ايام الشدة التي وقعت للخليفة المستنصر

وقد نهبت عرب لواتة شيئاً كثيراً منها اعرب المقريزي في وصفه ثم قال : ان عبيدهم واماءهم اخذوا جلودها يرقعون بها ما يلبسونه في ارجلهم واحرقوا ورقها تأولاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعزه الله وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية الى اليوم بناحية آثار تعرف بتلال الكتب

هذا عدا خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها احد وعدا خزائن دار العلم بالقاهرة وهي مماثلة لما نسميه الآن اكاديميا او كما يقول صاحب كشف الظنون وابن ابي اصيبعة قبله : (الاكاذيميا) » وسوى خزانة البيمارستان العتيق وقد بقيت الى ان بعث فيها صلاح الدين فاشترى القاضي الفاضل وحده منها مائة الف كتاب مجلد واودعها في المدرسة التي انشأها بالقاهرة . وفضل القاضي الفاضل ومكانته في الدولة الايوبية

يدلان على انه احد أفضل الكتب واحسنها ولكنها ذهبت بها الايام ايضاً فان الغلاء لما وقع بارض مصر في سنة ٦٩٤ صار طلبة هذه المدرسة يبيعون كل مجلد برغيف من الخبز . وبقيت منها بقية تداولتها ايدي الفقهاء بالعارية فتفرقت . وكان فيها مصحف اشتراه القاضي الفاضل بنيف وثلاثين الف دينار على انه مصحف الخليفة عثمان وكان في خزانة مفردة له الى جانب المحراب . وهذا القاضي الفاضل كان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون . وقد بلغ مجموع كتبه قبل موته بعشرين سنة ١٢٤٠٠٠ . طلب ابنه مرة ان يقرأ ديوان الحماسة وتوصل الى ذلك ببعض الشيوخ من لدنه فامر القاضي الفاضل فاحضر له خازنه ٣٥ نسخة فصار يتصفحها واحدة واحدة ويقول هذا بخط فلان وهذه بخط فلان حتى اتى على الجميع ثم قال: ليس عندي ما يصلح للصبيان وامر بشراء نسخة بدينار لولده . وقد احضرت مجموعة رسائله في جملة ما احضره من الكتب

وقد بقي بعض الكتب من آثار الفاطميين في مصر وزاد عليها المماليك وجعلوا لها خزانة عمومية ولكنها احترقت في سنة ٦٩١ فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر الملوك . والذي نجا من النار انتهبه الغلمان وباعوه بابخس الاثمان فاقتنى الناس منها صحائف محرقة فيها نفائس غريبة

ولم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة في القاهرة فقد كانت خزائن الكتب في المساجد والجوامع والمدارس فضلاً عن القصور والمنازل . وحسبي الاشارة الى بعض المدارس التي امتازت بجمع الكتب النادرة منها المدرسة التي انشأها بمصر القديمة في سنة ٦٥٤ الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء المهملة وتشديد النون المفتوحة كما ضبط الثقات من المؤرخين) فقد كانت فيها خزانة جليلة من الكتب النادرة ثم نقلها فبقيت عنده حتى مات فتفرقت في ايدي الناس وكذلك الملك الظاهر بيبرس البندقداري جعل في مدرسته الظاهرية خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في عامة العلوم

ولما تولى السلطان قلاوون جعل في قبته المنصورية خزانة للكتب في جميع انواع العلوم ولكن معظمها تفرق في ايدي الناس واقتدى به ابنه محمد فانشأ خزانة كتب بمدرسته التي شادها بجوار هذه القبة في الجهة المعروفة الآن بالنحاسين

واما اسماء الامراء والافراد فهي كثيرة جداً مثل الامير منكوتمر سيف الدين الحسامي والحاج سيف الدين آل ملك والامير سيف الدين الجاي والطواشي سابق الدين مثقال والطواشي سعد الدين بشير الجمدار . وهم الكل الامير جمال الدين محمود الاستادار

ولا انتقل من هذا الموضوع قبل ان اذكر لكم ان نساء مصر كان لهن مشاركة في هذه المأثرة وحصة كبيرة في الغرام بالكتب واكتفي الآن باسم الست عاشوراء بنت ساروج الاسدي وكانت عائشة في ايام صلاح الدين والست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الايوبي وكانت من فضليات اهل العلم واشتهرت بالبراعة في الفصاحة وفنون الادب والسيدة الجليلة الكبرى خوندتتر الحجازية بنت السلطان الناصر محمد بن قلاوون والست بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان والست ايدبكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري

وقد بدد الزمن آثار تلكم السيدات الكريمات ولم اقف على كتاب من تلك الخزائن الكثيرة وغاية الامر ان في دار الكتب الاهلية بباريس تحت نمرة ٢٧٥١ كتاباً في علم تعبير الرؤيا وهو مرتب على حروف الهجاء بشكل معجم ومكتوب في سنة ٨٣٣ هجرية برسم خزانة اميرة من اميرات مصر (احدى البرنسسات) وهي بنت السلطان الملك الظاهر جقمق

كان هذا الغرام عاماً في مصر وفي جميع بلاد الشرق . وخصوصاً في الممالك الخاضعة لصولجان صاحب التاج في القاهرة . التي كانت عاصمة للامبراطورية المصرية . والشواهد كثيرة على هذا الولوع وحسبي ان اذكر لكم اسماً واحداً من باب التدليل . وهو ابو الفدا سلطان حماه وصاحب التاريخ المشهور بالمختصر في اخبار البشر وصاحب الجغرافيا المسماة بتقويم البلدان الذي طبع وترجم في باريس قد جمع في خزانته من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمنجمين والفلاسفة والكتبة

ولو اردت ان استقصي ما اعرفه عن الكتب وغرام المولعين بها ايام كانت الحضارة الاسلامية زاهية زاهرة لطال المقام ولم تكفني الايام تتلوها الايام

وقبل الختام اذكر لكم قضية وقعت بمصر وهي من اغرب ما سطرته سجلات القضاء

ووقفت في كتاب اسمه كنز الدرر وجامع الغرر لابي بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري وهو يقع في تسعة اجزاء تشاهد بمكتبة ايا صوفيا والثالث الباقي بمكتبة [illegible] في القسطنطينية وهو في تاريخ مصر وفيه تفصيل غريب وبيان واف لاراء في التاريخ التي وقعت الينا . والي هذا على الشرح من هذا السفر الجامع النافع . وقد كان هذا الكتاب موقوفاً في احدى المدارس بالقاهرة فاغتصبه بعض الاكابر واوقفه في مدرسته وقفاً صحيحاً شرعياً مرعياً اثبتت عليه ثقة بطلان الحكم [illegible] المرافعة والمدافعة ثم اصدر البينة بحكم ببطلان الوقف الثاني واعادة الكتاب الى شرط الاول بلزوم الوقف الاول . ولما انتهت الايام ببطلان هذين الوقفين انقسام الكتاب الى [illegible] في [illegible] والكل في غير مصر

ان العرب في اخراج اهل الفضل والعلم في دور الكتب كانوا مدارس اليونانيين في اثينا والرومانيين في رومية وكل منهم قد نهج في سنة احداثها [illegible]

اول من مدح الكتب في ما انتهى به التاريخ الصحيح هو اول من اسس لها داراً خصوصية [illegible] مصر وجعل منفعتها عمومية

الا لا [illegible] بعض الغلاة من العرب ومن [illegible] عليهم من المهوسين الافرنجيين الذين قالوا بوجود دور الكتب قبل حدوث الطوفان واخذوا يعيدون الاقاويل من هنا ومن هناك ويضيعون [illegible] في سبيل [illegible] الاهرام والاعمدة التي تشاهد [illegible] والصحف التي [illegible] ولكننا ان نتخذ ما هو وراء ذلك [illegible] التدريس [illegible] الخوض بحور [illegible] في اودية الاوهام . وحسبنا ان نرجع الى ما هو اقرب الينا باكثر من ٣٢٠٠ سنة فهنالك نصل الى التاريخ الثابت المنقوش في الاحجار [illegible] الاجيال [illegible] والاهرام . تلك الاطلال الباقية الى الآن في صعيد مصر تحكي للعيان [illegible] ان اوسيماندياس فرعون مصر الذي [illegible] اليونان سيزوستريس ورمسيس الثاني هو اول من اسس دار الكتب في مدينة طيبة بالصعيد وهو اول من مدح الكتب بعبارة وصلت الينا . وذلك انه نقش على باب تلك الدار كلمتين اثنتين جمعتا [illegible] وطلعتا بكل [illegible]

«شفاء الارواح»

ولعمري ان هاتين الكلمتين ما ابلغ من كل ما جادت به القرائح بعده في شرق البلاد وغربها وما هو مأثور عن عظم الامم وغربيها

وعن المصريين اقتبس اليونان علومهم ومعارفهم ونظاماتهم ولكنهم لما جاء الدور لم يتيسر لهم انشاء مكتبة عمومية الا بعد الفرعون المصري برهات من السنين لا تقل عن الخمسة القرون وذلك ان طاغية بيسسترات هو اول من احدث بمدينة أثينس (أي اثينا) داراً من هذا القبيل لاستفادة الخاص والعام وكان ذلك قبل القرن السادس للميلاد وجمع فيها اشعار اوميروس بعد ان تلقفها من افواه الرواة كما كان شأن العرب من بعده باثني عشر قرناً في ايام بني امية وبني العباس . وما لبثت هذه الدور ان انتشرت بارض اليونان كما يشهد بذلك بيت قاله شاعرهم ارسطوفان

وفي يد كل انسان كتاب   يلقنه افانين العلوم

وتولع اليونان بجمع الكتب والحث عليها لدرجة لا تكاد تكون محمودة : دخل حاكم الى مدرسة النحو باثينا فطلب من الاستاذ نسخة من ديوان اوميروس . فاعلمه المعلم بعدم وجودها فما كان من الحاكم في هذه الاحوال الا ان صفعه وخرج

ثم تهوس القوم بجمع الكتب من غير استفادة او افادة حتى رأى اديبهم لوسيان الشميشاطي ان يكتب رسالة بليغة في هجو رجل جمع من الكتب طائفة وفيرة لمجرد الاشتهار بانه جماع للكتب . قال ذلك الاديب يخاطب ذلك المذموم بما ترجمته

« في وسعك ان تعير الكتب غيرك فتكسب اجراً وفيراً ولكن ليس في طاقتك ان تستفيد منها فتيلا ولا قطميراً . على انك ما اعرت منها احداً شيئاً مذكوراً فكان مثلك كالكلاب التي تنام في اسطبل الدواب فهي لا تقدر على اكل ما فيه من الشعير ولكنها تمنع منها الخيل وهي قديرة على الانتفاع بأكله »

ولو تأخر هذا الاديب المجيد لخر ساجداً اذا سمع قول الكتاب المجيد « مثلهم كالحمار يحمل اسفاراً » فانظروا يا رعاكم الله الى حسن الديباجة والى هاتيك الاجادة : واما قول لوسيان فما اشبهه بقول الجاحظ ولكن في ذم الخصيان ولا ازيد على هذا البيان بغير الاشارة عليكم بمراجعة كتاب الحيوان واليكم مثلاً مما قاله العرب في ذم من يجمع الكتب وهو لا يدري بما فيها

زوامل للاخبار لاعلم عندهم   بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا   باحماله او راح ما في الغرائر

فلما جاء دور الرومان انشأ الامبراطور يوليان المشهور بالمرتد وفي كتب العرب بالمارق

دار كتب في القسطنطينية واراد ان يتشبه بفرعون مصر ولكنه لم يبلغ شأوه فكتب على بابها هذه العبارة ·

« لبعض الناس صبابة بالخيل ولبعض ولع بالطير ولآخرين غرام بالوحش واما انا فقد تدلهت منذ نعومة اظفاري بشراء الكتب واقتنائها »

ومما امتازت به مدينة القسطنطينية انها في ايام النصرانية حفظت في كنائسها علوم الاقدمين حتى جاء العرب فاستفادوا منها ونشروها من قبورها وكان لهم بهذه الوسيلة القدح المعلى في ترقية الحضارة وبني الانسان وكذلك امتازت في ايام الاسلام بحفظ ما جادت به قرائح العرب الكرام في مساجدها وما علينا سوى اقتفاء اثرهم واتباع سنتهم · وقد فتحت لك الباب وحسبي ذلك فخراً

جاء العرب في ايام العباسيين فانتهت اليهم كلمة عن سقراط فكانت محركة لعزائمهم وجعلتهم ائمة الامم وقادة الافكار

قيل لهذا الفيلسوف اما تخشى على عينيك من ادامة النظر في الكتب فقال : اذا سلمت البصيرة لم احتفل بسقام البصر

وفي هذا المقام لا يصح اغفال ذكر المأمون فهو اول من اسس دار كتب عامة في الاسلام وسماها بيت الحكمة كما انه اول من اسس مجمعاً علمياً (اكاذيميا) وسماه دار العلم · هذا فضلاً عن خزانة كتبه الخصوصية التي يروي لنا عنها ابن النديم كل معجب ومطرب

كان بمدينة الاسكندرية حاكم يسمى خليل ابن شاهين الظاهري اشتهر بتأليفين احدهما في علم اليقظة والآخر في علم المنام فاما الاول فهو كتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ثم اختصره وسماه زبدة كشف الممالك وهو كتاب مفيد في وصف بلاده واعمالها ودواوينها ووظائفها وقطاعاتها وغير ذلك من محاسن هذه المملكة مع سرد ابيات مما لخصه بعض ملوكها وسلاطينها الى غير ذلك من النوادر والفوائد ولا حاجة الى بيان القول ـــ لكنه لا يوجد من هذا الاثر النفيس ولا نسخة واحدة مخطوطة بديار مصر كلها وهي وطنه ووطن مؤلفه بل هي موضوعه ومدار مباحثه ·

اما الكتاب الثاني فقد سماه « الاشارات في علم العبارات » والعبارة هي تعبير الرؤيا وتفسير الاحلام واسم العلم بالفرنسوية مأخوذ عن اليونانية

قال صاحب كشف الظنون: «كانت العرب في صدر الاسلام لاتعتني بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طرًّا اليها. وذلك منهم صونًا لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام» واقول ان الشارع هو الذي دعاهم الى تقييد العلم على اطلاقه فقد جاء في الحديث الشريف:

العلم صيد والكتابة قيد. قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة

اخذ الشاعر قول الشارع فصاغه في بيت شعر ونظم بارع

العلم صيد والكتابة قيده   قيد صيودك بالحبال الواثقه

ثم مدحوا الكتب كما مدحها فرعون مصر وقياصرة الروم من قبلهم فقال العتابي وهو من اجلاء عصر الامين والمأمون

لنا ندماء لانمل حديثهم   امينون مأمونون غيبًا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى   ورأيًا وتأديبًا وامرًا مسددا
بلا علة تخشى ولا خوف ريبة   ولا نتقي منهم لسانًا ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب   وان قلت هم موتى فلست مفندا

ومدحها ابن طباطبا العلوي

لله اخوان افادوا مفخرا   فبوصلهم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى   هم فاحصون عن السرائر تضمر
ان ابغ من عرب ومن عجم بهم   علمًا مضى فبه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها   ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباؤهن ابو الخطابة يرتقوا   كفي كفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما   عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت بها جليسًا مبرمًا   لايستطيع له الهزيمة عسكر

وهو ينظر بقوله الاخير الى جواب جالينوس فقد قيل له: لم كان الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل فقال لان ثقله في القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه

وفي ذلك المعنى الذي اشار اليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لموخسكيو (ابن

خالدون (رينان) وهو في باريس قال ما ترجمته : ما حل بي قط من الهموم الا بددته ساعة واحدة من القراءة

ومدح العرب الكتب كثير جداً أكتفي منه بكلمة واحدة منثورة : أهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد . لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب . وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر وتصلح للدنيا والآخرة . وتؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة . مسامر مطواع ونديم صدوق .

وقال آخر : الكتب بساتين العلماء

ولكن كل هذه الاقوال وما شابهها مما روي عن المتقدمين والمتأخرين لا تعادل الكلمتين اللتين قالهما فرعون مصر عن الكتب

شفاء الارواح

ولقد قام رجل من مشاهير الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر وهو الدكتور ليثون فالبار بمعالجة الكتب لازالة انواع الامراض قال ما خلاصته : لقد خطر في ضميري ان اعلم دور الكتب في شيء جديد مفيد فبدلاً من ان يكون مكتوباً على الخزائن والدواليب والرفوف هذه الكلمات : لغة . علوم . طبيعيات . من التواريخ ونحو ذلك اشير باستبدال هذه الكلمات بأسماء الامراض التي تنتاب الجسم والروح مما يمكن مداواته بالمؤلفات الموجودة فيها من داء القلق الى اشد الويلات فبهذا النوع الاخير من الاسقام يصلح له قراءة الكتب المزاحة مع مقدار النصح في قليل من الحليب فالذي يشكو من الهموم التي يمكن ازالتها مثل هذه تخص الاماني او مماكمة الاعوان او مشاهدة الزمان في هذه الحال يحسن بالمصاب ان يقرأ تراجم الاعيان والافراد فيتسلى بما اصابهم من البلايا ويزول مرضه باذن الله . فاذا ما حل الهم والغم فالروايات الخ وهكذا الشر . ولكن اذا حلت بالانسان مصيبة فادحة وجب عليه ان يستغرق كل عقله وقلبه في عمل من الاعمال الجارية التي تحوله بدون نفسه وما حل به من الارزاء

واستشهد الشيخ لهذا الطب الجديد الغريب بأحد شعراء الالمان (جيته) قال انه حينما مات ولده تفرغ للدراسة على جديد وقيل انه اكمل فصول بعض رواياته البديعة فجاءت في نهاية البلاغة والاعجاز

فانظروا الآن الى ما صنعه الاسكندر الاكبر حينما هزم دارا ملك الفرس فانه ظفر في جملة الغنائم الملوكية بصندوق بديع الصنعة فقال للمقربين اليه : لاي شيء يصلح هذا الصندوق ؟ فاجاب كل منهم بما رآه . ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال انما يليق هذا الصندوق لحفظ الياذة اوميروس

وفي ايام الاسلام ظفر الحجاج بن يوسف عامل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر الفرس فامر بفتحه فوجدوا صندوقاً آخر ففتحوه فوجدوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً فقال الامير : لعل فيه حماقة من حماقات الفرس . ففتحوا واذا فيه بطاقة مكتوب عليها هذه العبارة : من مشط لحيته في كل يوم طالت : ونحن لم نخرج عن الموضوع لان هذه الوصية كانت مكتوبة على قطعة من الحرير وانني اقلب الطرف يميناً وشمالاً فلا اجد من اوصيه بها ليخبرنا بصحتها بعد العمل بها

ولا يخفى عليكم ان عرب الشرق هم الذين احيوا علوم العرب ونشروها وهاهم عجم العرب يعملون في هذه السنة الآن في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وهولاندة واسبانيا والروسيا وسائر بلاد اوربا واميركا ولا امل لي الا ان ارى اهل مصر يشاركونهم فهم احق بتراث اجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون الا بالعناية بالكتب

هل اتاكم حديث فرنسا وتاهيكم بها في العلم والحضارة والعرفان؟

انها مدينة لمصر الاسلامية بحدثين عظيمين في انشاء دور الكتب العمومية

اولها يرجع الى ايام الحروب الصليبية . فان الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم شن الغارة على مصر في اول دولة المماليك البحرية ثم عاد ادراجه مهزوماً ولكنه رجع ظافراً بفكرة جيدة ومأثرة جميلة . وهي انه اقتبس عن اجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة

اترك الكلام لكاتب سيرته وامامه في صلواته فقد قال ما خلاصته :

« ان الملك التقي الورع القديس لويس وصل الى سمعه وهو فيما وراء البحار ان سلطاناً من سلاطين الشرقيين يبذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الانواع وفي استنساخها على نفقته ثم يضعها في دار عمومية ليستفيد من مراجعتها علماء بلاده فانه كان يجعل هذه الجوامع تحت تصرف جميع الطالبين . فاراد القديس لويس ان يتشبه بهذا السلطان وعزم على بذل المال بمجرد عودته الى فرنسة لنسخ الاسفار النافعة

بمراجع الكتب المقدسة التي يتأتى له العثور عليها في الاديار ليتمكن هو ورهبانه العاكفون على علوم الادب من درسها وحرصها للانتفاع بها وافادة الجار والقريب بعلومها . وقد حمله هذا القصد على اعداد مكان لائق امين في باريس جمع فيه كثيراً من تصانيف القديس اغسطينوس وامبروز وجيروم وهيلاري وبقية ائمة المذهب الارثوذكسي . وكان يذهب في اوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره عن طيبة خاطر بمشاركته في اللذة الروحية . وكان يؤثر استنساخ الكتب على شراء اصولها لان ذلك في رأيه من شأنه ان يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها اكثر فائدة . وكان حينما يقرأ في تلك الكتب يحضر من خدمه وخاصته الذين لا يفهمون اللاتينية يترجم لهم بالارامية ما لا يدركونه من العبارات .

على انه في آخر عمره اصابه دخل في عقله فبدد شمل تلك المجموعة وامر في وصيته بتوزيع الباقي على الاديار

واما الحين الثاني الذي حدث في فرنسا فيرجع الى عهد قريب منا ويان . ذلك ان القائد بونابرت عند حملته على مصر في آخر القرن الثامن عشر للتاريخ الميلادي نهب كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان اجدادنا قد دونوها بعد الفتح العثماني . وكل من ذهب الى باريس واطلع على فهرس دار الكتب الاهلية فيها يأخذه العجب العجاب ان لم تساوره الاشجان والاحزان . فلقد اصبحنا اذا احتجنا الى شيء من مؤلفات المصريين الخاصة بمصر لا نجد منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحلة والتغرب لطلبها في بلاد الغرب

ولقد ادرك محمد علي ذلك بعد ما اراد ان يجدد العلم في ربوع مصر فارسل نفراً من نابغي الازهر الشريف فعادوا وافادوا جدد الله عهدهم . ومن نابغيهم هو المرحوم رفاعة بك الطهطاوي انشأ والشد . صنف والف وترجم وعرب وكتبا فيال عليه رقي اولاده .

اعلموا ان العرب والاسلام سراً عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران . فالعرب اينما حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهى امرها بالانفراد والاستقلال . كذلك الاسلام اينما انتشرت رايته استهوى العقول والالباب . ولكن العرب لها العجم الذين نشروا علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك عجبت لهذه الاعاجم ملكت الفرس لم تحتج الى العرب وملكت العرب لم تستغن عنهم . وهذا كان يقول هذا الخليفة ودولته اموية عربية

محضة : وماذا كان يقول لو عاش حتى رأى عصر العباسيين او لو بعث من قبره هذه الايام ورأى حاجة العرب الى الاعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم اليهم حتى في احياء آثارهم او تهافتهم على اقتناء مآثرهم

ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية ؟

تعلمون ان التتار هم الذين خربوا دولة العرب ودكوا معالم الاسلام ومع ذلك فمن اعرب الغرائب واعجب العجائب انهم ما لبثوا ان دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بملوكهم الماجدين في احياء العلوم وتوسيع نطاق العمران . سر من اسرار الطبيعة لا نراه الا في شؤون العرب ومعارفهم . فبعد ان هلك هلاكو وبعد ان مارت الارض تيمور لدخلته في تامورها جاء احفادهما فدخلوا في دين الله افواجاً هم واقوامهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا الوسطى وفي بلاد الهند الى اوائل الجيل الماضي ومن اشهرهم في العلم والعلماء الغ بك واسمه محمد بن شاهرخ اعتنى هذا الرجل بعلم الفلك والف فيه زيجاً باللغة الفارسية ترجمه الى العربية بعض افاضل المصريين والترجمة في خزينتي بمصر وجمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت من بعض بقاياها كتاب الصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي ويسمى ابي الحسين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي اريد ان احدثكم عنه في هذه الساعة

هذا الكتاب لا ابالغ في فضله ولا اذكر شيئاً من محاسنه وانما اقول لكم ان الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم عهدوا الى احد علماء الفرنسيين فترجمه الى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة ايضاً في بطرسبرج . وهذا الصنيع المزدوج يدلكم على فضل الكتاب وفوائده . واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشتوم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طاقية الاخفاء وطار في الفضاء وهجر ديارنا وواصل عبره فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتقنوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية وان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستاً لان السادسة هي التي سأتكلم عليها . ففي سنة ١٨٩١ عثر يوسف بك حلاق على نسخة ملوكية

من هذا الكتاب مكتوبة على ورق الحرير بالوان مختلفة بالنسخ والثلث وقد بلغ الكتاب فيهما نهاية الاجادة والاتقان . وازدانت بصور ملونة باهية زاهية يتدفق فيها الذهب واللازورد على احسن شكل واجمل مثال .

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون ويتعشقها العارفون فانها حوت امراً آخر يزيدها قيمة لدى اهل الدراية . ولكن اين هم في ديارنا ... وذلك انها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الغ بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة النوادر وذخيرة الذخائر .

عرضها يوسف بك على دار الكتب الخديوية فقومتها اني لاستحي من ذكر القيمة .... ولكن اقولها لكم تعلموا مقدار تفريطنا . قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً . وظننت ان ذلك شيء كبير . وكيف لا وهذا المبلغ يساوي الالف ونصف الالف من القروش والخمسة عشر الف مليم : توجه صاحب الجوهرة الى الغازي مختار باشا فراده الربح . توجه الى الارسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة الكائنة الآن بجوار دار نظارة المعارف الحالي فضاعفت له الثمن اربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام المجمع العلمي الفرنسي . فقبض الثمانين جنيهاً ولا ادري اذا كان احرز الوسام ولكنه اشترط ان يكتب اسمه بيانه على تلك النسخة فقبل القوم شرطه وارسل الكتاب الى باريس تكميلاً لنصف الدستة واصبحت ستة منها .

روى صاحب كتاب الفهرست ان ابا زكريا يحيى بن عدي النصراني المتوفى ببغداد سنة ٣٦٤ قال انه رأى في تركة ابراهيم بن عبد الله الناقل النصراني كتاب السماع الطبيعي كله . كتاب البرهان لارسطو مشروحين بقلم الاسكندر الافروديسي وعندي قطعة وافرة من (كتاب البرهان) وانهما عرضا عليه بمائة دينار وعشرين ديناراً فمضى يحتال في الدنانير ثم عاد فاصاب القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني (اعجمي من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم .

قال القاضي الاكرم الوزير القفطي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بتراجم الحكماء المطبوع في ليبسك من اعمال المانيا ما نصه :

« فانظر الى همة الناس في تحصيل العلوم والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه الكتب المشار اليها في زمننا هذا وعرضت على مدعي علمها ما ادوا فيها عشر معشار

ماذكر » وماذا كان يقول لو سمع الحكاية التي رويتها لكم عن كتاب الصوفي . ثم ان الخراساني اشترى الكتب بثلاثين ضعفاً واما الفرنسيون فاشتروا كتاب الصوفي باربعة اضعاف لانهم لم يجدوا في مصر من يزاحمهم كما جرى في بغداد

واقول لكم ان يحيى بن عدي النصراني المذكور كان من اكابر المؤلفين والمترجمين ومحققي الفلاسفة وكان من المغرمين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان اوحد دهره ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال : « من اي شيء تعجب في هذا الوقت . من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى ولعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . »

ونحن نعلم ان النويري المصري صاحب كتاب نهاية الارب في فنون الادب كان يكتب في اليوم والليلة ثلاثة كراريس اي ستين ورقة . ولم يبلغ شأو هذا المتقدم مع ان جميع المؤرخين يعجبون به وبعمله الذي سترون اثره الجامع لكل العلوم والمعارف في السنة المقبلة ان شاء الله

كل هذه الاعمال وهي قطرة من بحر تدلكم على مقدار الغرام بالكتب وانه اذا استولى على العقل فلا يجد المدنف العاشق لذة في شيء آخر . وهذا الغرام ليس قاصراً على الشرق او على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس على اختلاف الاوطان والاديان والاجناس

ونرجع الى ذكر السرقات في الكتب واروي لكم حادثتين وقعت احداهما لرجل من افاضل الاسكندرية وكان للثانية شأن كبير بالجامع الازهر في القاهرة

فمن الرجال الذين يحق للاسكندرية ان تفتخر بانها انجبتهم ابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي الجغرافي الف كتاباً فيما ائتلف واختلف من اسماء البقاع وقد ضبطه وافنى في تحصيله وتحقيقه عمره فاحسن فيه كل الاحسان فجاء ابو بكر زين الدين محمد بن موسى الهمداني المشهور الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه برمته وادعاه واستجهل الرواة فرووه له . نبه على ذلك ياقوت الحموي في صدر معجم البلدان بقوله : « ولقد كنت عند وقوفي على كتابه ارفع قدره من علمه وارى ان مرماه يقصر عن سهمه الى ان كشف الله من خبيئته ومحض المحض عن زبدته » اقول انه رغماً عن هذا التنبيه مازال الكتاب مشهوراً باسم السارق فان صاحب كشف الظنون لم يذكر

غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط . وفي كل حال فالكتاب لم يصل الينا

واما الحادثة الثانية فقد وقعت بالقاهرة في حدود القرن التاسع للهجرة . وذلك ان الامام شهاب الدين ابا العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ الف في السيرة النبوية كتابه المشهور المتداول بيننا الآن وهو « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » فما راعه بعد ان فرغ من تبييضه في سنة ٨٩٨ الا وقد رفع جلال الدين السيوطي دعوى عليه لدى شيخ الاسلام زكريا الانصاري . وهذا بعض ماورد في صحيفة الدعوى « انه يسرق من كتبي ويستمد منها ولا ينسب النقل الى نفسه » فطالبه شيخ الاسلام ببيان ما ادعاه . فقال انه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فليذكر انه نقله عنه . ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي انا وكان الواجب عليه ان يقول نقل السيوطي عنه

ماذا كانت النتيجة ؟ انظروا واعجبوا

صدر الحكم الى القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وازالة ما في خاطره .

كيف كان التنفيذ ؟

مشى القسطلاني من القاهرة الى الروضة (جزيرة النيل) وكان السيوطي معتزلا عن الناس بها فوصل الى بابه ودقه فقيل له من انت ؟ فقال انا القسطلاني جئت اليك حافيا لتطييب خاطرك . فقال له : قد طاب . ولم يفتح له الباب

فأين اين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن ؟ افرأيتم لو رفع الحي عليهم قضاياهم من هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي ربكم هل كانت تكفينا المحاكم الشرعية والبطريركية والاهلية والمختلطة والقنصلية ولجان الفن الاداري ؟

لعمري ان تجار الادبية كانوا يمشون كلهم في صف واحد لو اقتدى السراق بما سلكه القسطلاني !! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصلا في زماننا الى درجة لامزيد عليها خصوصا وان انتشار الطباعة ساعد على نمو هذا الطبع

وتلك الصناعة قد كان قاصرا على بعض العرب في مصر والاندلس وان كان الاثر الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الافرنج حفظوه لنا اثابهم الله عنا خير الثواب ووفقنا الى اقتفاء خطواتهم في النافع بدلا من تهالكنا على تقليدهم في كل ضار

اخبرني الاستاذ الفاضل حفني بك ناصف انه رأى خطبة محفوظة بمكتبة ويانا

ناجمة اعمالنا في جملة ما اوردناه من آثار العرب وثمرات عقولهم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويف كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المألوفة في اصطناع الاختام وانها كانت مستعملة لطبع الاوامر العسكرية وتوزيعها على الجنود كما هو الشأن في ايامنا هذه في « الثكنة العسكرية » وذلك يستفاد من العبارات المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدها للفواطم وربما نشر صورتها عن قريب بعض علماء المستشرقين فتكون برهانا على تولد هذا الفن بديار مصر

واما الاندلس فقد ترقت الى ما وراء هذه الخطوة الاولى فقد كان للاندلس في هذا الباب ثلاث خطوات

الاولى انهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن اثرهم لايزال باقيا في ديارهم وها انا اطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهدية العيد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله اهل الاندلس في مدينة المرية عثروا عليه في اطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل على انه كان مستعملا في قيسارية المرية ولفظة قيسارية تدل على السوق ولا تزال مستعملة بهذا المعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق واصلها مشتق من اسم قيصر كما انه اسم موضوع للدلالة على مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة الى قيصر . ولا شك ان هذا الطابع كان مستعملا بصفة الدمغة (التمغة) التي كانت مستعملة في مصر الى عهد قريب لطبعها على الاقمشة والربايط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة

كذلك كان ذلك الطابع يوضع على الامتعة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها الى السوق اي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكلمات المكتوبة فيه وهي : طابع قيسارية المرية عام خمسين وخمسمائة

واما الخطوة الثانية فهي ان الاشراف على دار الطباعة كان من خطط الدولة . يدلكم على ذلك النص العربي الذي نبه اليه العلامة جايانجوس الاسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلة السيراء) لابن الابار الاندلسي المشهور وقد طبع العلامة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب النفيس في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٥١ . وانتم تعلمون ان ابن الابار هو الذي ارسله صاحب الاندلس ليستنجد صاحب تونس . وهو ذلك الرسول الذي وقف بحضرة ملك تونس وانشده تلك القصيدة الطنانة الرنانة التي تستفز الجبان ويلين لها قلب الجماد . قال في مطلعها :

ابوك يحيى جليل الله أيدنا   ان النبيل الى منحتها ورما

ولعل التعقد ان ابن الابار يقول في كتابه المذكور ان عبد الرحمن الناصر الخليفة الاكبر (ولى بدر بن احمد الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد وكان يطرد اي بدر) بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يختمها الطابع فتطبع وتخرج اليه فيبعث العمال ويعتقدون أن بيديه . ثم ان هذا النص سقيم ويحتاج الى تقويم ولا بد من مراجعة الاصل والبحث بنصوص اخرى . وربما كان المراد وضع الطابع عليها . ولكن هذا الفرض بعيد لان الطابع على ما نفهم لا يصح وجوده بيد غير الوزير كما هو معهود في الدول الاسلامية من الى الآن في الباب العالي . والاظهر ان ذلك يشير الى اخراج نسخ متعددة من مطبعة عربية لتبليغها الى اهل الولايات ورؤوس الواحات

اما الخطوة الثالثة النهائية فلدينا عليها دليل مما اورده لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الموسوم بالاحاطة في اخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ ابي بكر القدسي ما نصه :

(والف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسطونة والف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس ومتوسطات النجوم ومعرفة الاوقات بالاعداد . ونظم ارجوزة في شرح ملاحن ابن دريد ونظم ارجوزة في شرح كتاب الفصيح ووضع الوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه)

هذه العبارة اكتشفها الكاتب من علماء الافرنج فكتب عليها شرحاً طويلاً في جرنال آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل علماء اوربا في البحث والتنقيب عن مآثر العرب . ثم انهما ارادا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصوروا ان فيها بعض الالتباس والابهام . فأخذ احدهما بتصحيح الجملة الاخيرة بما يتحمله من الاعراب فقال (كتاباً في خواص وصنعة وآلة طبع الكتب كتاباً غريباً في معناه) ولا يصح الاقبال على ما يجب بسبب هذا التصحيح القليل الدقيق ومقتضى الاعراض اما الموضوع فهو انها اكتشفنا هذا البرهان الذي يبين ان هذه الصناعة وجدت بين ايام العرب ولو من باب التجربة العلمية ولم نجد لها الآن اثراً محفوظاً . ومن المعلوم ان الامدة (جمع مداد) تحتاج الى تركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخاً متعددة لذلك كان المؤلف الاندلسي بين صنعتها وبين طبع الكتاب . ولما كان هذا الاستنباط البديع العربي لم يسبق له مثال بالاندلس رأى صاحب الاحاطة وجوب التنبيه على فضل الكتاب فقال غريب في معناه

فأين ابن ذلك الكتاب الذي الّفه القاضي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بانه غريب في معناه

لاشك انه ذهب طعمة للنار حينما طغت كلمة الاسبانيين وطردوا المسلمين من تلك الديار فانهم كانوا كلما وقع لهم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران باحراقه بالنيران وبهذه الكيفية احرقوا تسعة اعشار ونصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع الكتب العربية ولم يكد يخلص الينا منها واحد في الالف وكانوا يتهافتون بارتياح وتقوى الى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون انهم يحسنون صنعاً حتى ان احد كرادلتهم احرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو الف الف كتاب . وكان هذا الصنيع عمل الايمان

جمهورية البرتقال

من الانقلابات السياسية الاخيرة مناداة الاحرار في مملكة البرتغال بالجمهورية والغاء الملكية فاصبحت هذه الجمهورية ثالث جمهورية في اوربا ومنذ سنين لم يبايع بجمهورية مهمة في تلك الارض الا في برازيل فكأن هذه المملكة وكانت في القديم تحت حكم البرتغاليين بدأت بنزع الملكية وجبت أمها الاصلية بل لا تقصر عنها في المطالبة بالحرية .

ثم تغلب الاحرار او الحزب الجمهوري على المحافظين بعد اضطرابات دامت سنين ادت الى مقتل الملك كارلس منذ ثلاث سنين وعين ابنه عمانوئيل خلفاً له وها قد هاجر بلاده في السفينة الى جبل طارق مخافة ان تتناوله الايدي باذى كما تناولت من قبل اباه .

ولما كانت للبرتغال صلة قديمة بممالك الشرق الاسلامي وحكومات العرب وكان هذا الانقلاب من الانقلابات التي لها علاقة كبرى بالتاريخ والاجتماع رأينا ان نأتي بنبذة قليلة من احوالها السياسية والطبيعية عسى تكون فيها بعض فائدة فنقول :

البرتغال مملكة في الجنوب الغربي من اوربا يحدها من الجنوب والغرب البحر المحيط الاتلانتيكي او بحر الظلمات ومن الشرق والشمال مملكة اسبانيا ومنها ومن هذه المملكة تتألف شبه جزيرة ايبريا وتبلغ مساحتها السطحية ماعدا جزائر آسور ومادير ٨٨٩٥١ كيلومتراً مربعاً وسكانها نحو ستة ملايين وعاصمتها ليسبونة

ولاتفصلها عن اسبانيا تخوم طبيعية كثيرة الآكام وفيها انهار جارية وجبال عالية واعلى قممها الجبل الشمي وياسكا يبلغ ارتفاعه ٥٧٨٠ متراً وحرارة البلاد معتدلة تتجاوز في الصيف في مدينة [illegible] ٤٠ درجة وامطارها غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف ومياهها حسنة جارية في الجملة واعظمها ما ينبع من ارض اسبانيا ومنها ما يجري في ارض البرتغال

واصول سكان هذه البلاد مزيج من عناصر وشعوب كثيرة اهمها سلتيون وايبريون ولاتينيون وسويفيون والقوطيون وكثير من العرب والاسرائيليين وبعض الزنوج في لشبونة والكراف تظهر الى الآن في سحنات البرتغاليين السود مما يستدل به على كثرة من كانوا يجلبون من الزنوج الى لشبونة خلال القرن السادس عشر ١٠ الى ١٢ الف زنجي كل سنة وكثير من اهل البرتغال . والدين الرسمي في البلاد الكثلكة اما سائر الاديان والمذاهب الاخرى فيتسامح مع اهلها

وتعد مملكة برتغال من الممالك الدستورية وهي وراثية يتعاقب الملك فيها ذكورها واناثها وقد نشر دستورها الاول في سنة ١٨٢٦ ثم عدل سنة ١٨٥٢ والقوة التشريعية في مجلس الكورتس او مجلس النواب والشيوخ والملك يصادق على ما يقررونه ويتألف مجلس الامة من مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعيان ٥٢ عضواً وراثياً و١٣ قسيساً و٩٠ عضواً يعينون مدة حياتهم وفي مجلس النواب ١٤٨ منهم سبعة عن المستعمرات ينتخبون من الشعب مباشرة من الاشخاص الذين حصلوا على بعض الرتب او الالقاب العلمية او ممن لهم دخل سنوي يزيد على [illegible] ذلك . وللملك ان يدعو هذا المجلس او يحله وهو يعين رئيس الاعيان ويصادق على تعيين رئيس النواب . والامة تنتخب نوابها مباشرة ولا يسوغ للملك ان يتغيب عن المملكة اكثر من ثلاثة اشهر بدون ان يأذن له المجلس والوزارة مؤلفة من وزير الداخلية ووزير المعارف والفنون الجميلة ووزير المالية والعدلية والمذاهب والحربية والبحرية والمستعمرات والخارجية والاشغال العمومية والتجارة والصناعة . وتقسم البلاد الى احد وعشرين مقاطعة ولكل واحدة عامل يعينه الملك ولكل ولاية مجلس منتخب ولجنة اجرائية

وهذه البلاد زراعية واراضيها موزعة كثيراً في الشمال وليس كذلك في الجنوب الا ان عدم النظام في تقسيم الاراضي وهجرة السكان اضرت بالبلاد ضرراً بالغاً . واهم

غلات البلاد الكرم تكاد تكون زراعته عامة ومنه يخرج الخمر الجيد والحبوب تكثر في الشمال كما تكثر الغابات والاشجار المثمرة في الجنوب . وتكثر فيها تربية الماشية ودود الحرير والنحل . ولها موارد عظيمة من الصيد

ومعادن البلاد كثيرة في الجملة ومنها الثمين الا ان الفحم الحجري لااثر له فيها ويكثر الملح في شطوطها الغربية وفيها عدة ينابيع معدنية يستفاد منها اكثر مما تستثمر مناجمها . والسواحل هي المراكز الصناعية في البلاد ومنها اعمال الحديد والآلات الحديدية وصنع السكاكين والمدى والنسج والغزل والدباغة والتجارة ومعامل القفافيز (الكفوف) والاحذية والحياكة والمربيات والنبيذ وغيره والخدمة العسكرية فيها اجبارية تكون ٢٥ سنة منها ثلاث سنين في الجيش العامل وخمس في الرديف الاول يخدم فيها الجندي شهراً واحداً كل سنة ليتعلم . وقدرت واردات الحكومة في السنة الماضية بنحو ٤٤،٨٥٥،٠٠٠ جنيه ونفقاتها بنحو ٦١،١٥٧،٠٠٠ وديونها ٢١٤،٦٠٠،٠٠٠ جنيه ووارداتها زهاء خمسة عشر مليون جنيه وصادراتها نحو نصف ذلك . والتعليم الابتدائي اجباري فيها لكنه كما هو في المملكة الاسبانية اسم بلا جسم حتى بلغ عدد الأميين فيها منذ عشر سنين ٨٧ في المئة وهو ما لا نظير له في مملكة اوربية صغرى وفيها مدارس عالية كثيرة متنوعة وعدد جيشها العامل ٣٠ الفاً وتستطيع ان تجند ٢٥٠ الفاً ايام الحرب ولها بحرية فيها ٦٠٠٠ ضابط وعسكري

وللبرتقال مستعمرات عظيمة لكنها جزء من مستعمراتها القديمة وكانت البرازيل من جملتها ايام كان للبرتقال الفتح الاول في استعمار افريقية وجنوبي آسيا . ويبلغ مجموع مساحة مستعمرات البرتقاليين الآن ٢،٠٨٥،٠٠٠ كيلومتر مربع فيها نحو عشرين مليون ساكن . فلها جزر آسور ومادير في المحيط الاتلانتيكي وجزائر الرأس الاخضر وسنغامبيا البرتقالية وغينة والقديس توما وجزيرة الامير في افريقية الغربية ولاوانكا وكابندا ثم انكولا وبنكولا وموسامديس . ولها في افريقية الشرقية مملكة موزانبيق وسوفالا وغيرها ولها في آسيا من المستعمرات كوا وسالسيت ودامو وديو واعمالها وماكو ونصف تيمور وكامبنج مما يدل على ان جزائر الهند كان يملكها الملاحون الاول من البرتقاليين وكانت هذه المملكة في القديم جزءاً من لوزيتانيا استعمر الفينيقيون شطوطها ثم استولى عليها الرومان خمسة قرون ونصفاً وتقلبت بها الحال حتى اوائل القرن الثامن

البلاد فاستولى عليها المسلمون وضموها الى مملكة الخلافة ولم يلبث ملوك النصارى في استوريا ان توسعوا في فتوحهم الى جنوبي الجبال وطردوا المغاربة الى غاليسيا واحتلوا لشبونة سنة ٩٥٣ ومن ذلك العهد نشأ اسم برتغال نسبة لمقاطعة بورتو واشترك البرتغاليون في محاربة المسلمين واجلائهم عن الاندلس وهزموا المسلمين كما يقول لاروس في معجمه في معركة شانتارم (١١٨٤) وساعدوا اهل قشتالة في حرب لاس نافاس دي تولوزا (١٢١٢) وسالادو (١٣٤٠).

ونشأ للبرتغاليين بفضل عقول امرائها بحرية عظيمة ونبغ منها سياح عظام منهم الذين اكتشفوا جزائر ماديرة وكناريا والرأس الاخضر والكونغو ورأس الرجاء الصالح كما وصلوا الى جزائر ملابار والصين والهند واليابان . وتجارة العطور والابازير والافاوية اغنت البرتغال قديماً في الزمن الذي اخذت تعتني فيه ايضاً بالآداب والصناعات . وقد كان لديوان التفتيش الديني فيها كما كان في اسبانيا شأن يذكر واُسس فيها سنة ١٥٣٦ . وكان من وفاة ملكها الفتى سباستيان في وقعة القصر الكبير ان دخلت المملكة في يد فيليب الثاني ملك اسبانيا الا انها حاولت ان تتخلص منه اذ هو جعل بلادهم خديوية قشتالية ومنعهم من الاتجار مع شذاذ الآفاق من اهل بلاد القاع (هولاندة) فاخذ هؤلاء يجلبون الابازير والافاوية تواً من بلاد الشرق وانكسر الاسطول البرتغالي سنة ١٦٠١ في بانتام من اعمال جاوة واستولى الهولانديون على جزائر السوند وبنوا باتافيا وحلوا في سيام وسيلان واليابان وعلى شواطئ غينية وغويان .

وفي سنة ١٦٤٠ انتقض اقليم كاتالونيا على صاحب اسبانيا فنزعت البرتغال يدها من الحكم الاسباني وبايعت دوك براغانس ملكاً عليها فنالت المملكة البرتغالية ثانياً وحاربت اسبانيا خمساً وعشرين سنة واستعادت بعض مستعمراتها الا انها تركت بومباي للانكليز سنة ١٦٦١ . وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر انفصلت برازيل عنها . واذ مالت برتغال الى انكلترا اكثر من فرنسا ، ساعدتها هذه في ازماتها السياسية وقد قامت في القرن الماضي باصلاحات اقتصادية مهمة منها وضع اصول « الكاداستر » على الاراضي والغاء الرقيق من المستعمرات وابتياع املاك الرهبان وتمديد الخطوط الحديدية واصلاح الاصول المالية .

والدليل على ان المسلمين حكموا تلك البلاد مدة سريان الفاظ كثيرة الى لغتهم من العربية وهي الى الآن في لغة اهل قشتالة وقد ألف دوزي المستشرق الهولاندي كتاباً في

الالفاظ التي اخذتها البرتغالية والاسبانية من اللغة العربية ويبلغ عدد المتكلمين بالبرتغالية في برتغال و برازيل وجزائر الرأس الاخضر وغيرها من المستعمرات البرتغالية في المحيطين والبلاد الصينية نحو عشرين مليونا

وكانت هذه البلاد جزءاً من الاندلس وتطلق عليها اسم برتغال "Portugal" وهذا هو اسمها في كتب العرب لا بورتوغال او بورتوغالو وعاصمتها لشبونة Lisbonne التي يذكرها العرب باسم الشبونة واشبونة والاشبونة" ولا تزال في مدينة سنترة Cintra حصون العرب في قمم الجبال وبعض مسجد بقيت آثاره الى الآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم عظاماً وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين او للنصارى فوضعوا على رخام القبر صورة الصليب وصورة الهلال والقسم الذي كانت تسكنه العرب في لشبونة يعرف عندهم باسم الحمة لا يزال يدعى المورية ويسميه البرتغاليون الآن من باب التحريف الفاما ومنظر هذه المدينة يشبه المدائن الشرقية

ومن امهات مدن البرتغال مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط الطلاب في بلاد البرتغال . ومنها مدينة بورتو Porto واسمها في كتب العرب برتقال وبها سمي هذا القطر برتقال كما نقول نحن الآن طرابلس وعاصمتها طرابلس وتونس وعاصمتها تونس وكما نقول بني سويف وبندرها بني سويف والفيوم وبندرها الفيوم والمنيا وبندرها المنيا وهكذا في اسيوط وقنا

وفي مدينة البرتغال هذه آثار كثيرة ولكن العرب لم يخلفوا فيها شيئاً يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يعودون الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم وقد تألف التجار على انشاء دار البورصة على الطراز العربي واعتنوا اكبر عناية فيها بحسب الاسلوب العربي وزينوه بالزخارف وكتبوا في صحن بعضها الديباجة اشعاراً عربية وفي جميع الطرازات هذه العبارة (عز لمولانا السلطان مرة ٢) يريدون عز لمولانا السلطان مرة الثانية اه .

---

(١) السفر الى المؤتمر لاحمد زكي (٢) قال المقري في نفح الطيب واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة والشبونة وشلب فمن اعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس ويابرة وغيرها ومن اعمال الشبونة شنترين وغيرها ومن اعمال شلب شنت مرية وغيرها

اما الاول فان العرب كانوا يحتلون البلاد ثم يجوزونها الى غيرها فمسألة فيها نظر بعد ان قال ياقوت ان شنترة ملكها الافرنج (اي من المسلمين) سنة ٥٤٣ ونسب اليها قوم من اهل العلم . ولا يخرج من دولة علماء الا اذا رسخت اقدام حكومتهم في البلاد .

وقال في شنترين انها مدينة متصلة الاعمال باعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة اربعة ايام وهي الآن للافرنج ملكت سنة ٥٤٣

وقال في قلمرية « بضم اوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء » مدينة بالاندلس وهي اليوم بيد الافرنج . وفي لشبونة ويقال لها اشبونة بالالف وهي مدينة بالاندلس يتصل عملها باعمال شنترين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها البزاة الخلص وعسلها افضل من كل عسل الذي بالاندلس يسمى اللاذرني يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقة فلا يلوثها وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العنبر الفائق وقد ملكها الافرنج في سنة ٥٧٣ وهي فيما احسب في ايديهم الى الآن .

واصرح من هذا ما قاله المراكشي (١) قال وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والغرب من القبلة مدينة طليطلة وركونكة والبيرة وطلبيرة ومكادة ومشريط ووبذ وابلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش ويسمى هذه الجهة قشتالة ويجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلاً مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون وفي الحد الغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنباقو ومدينة يابرة ومدن كثيرة ذهبت عني اسماؤها يملكها رجل يعرف بابن الريق

وذكر في سيرة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن انه خرج سنة ٥٧٩ قاصداً غزو الاندلس قال : فقصد مدينة شنترين المعادية للمسلمين وهذه المدينة اعني شنترين بغرب الاندلس وهي من امنع المدائن يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ملك من ملوك النصارى يعرف بابن الريق وقد فصل ما وقع بينهما من الهزائم وكيف جرح ابو يعقوب وحمل في محفة وكيف هرب ابو الحسن الذي كان سبب هزيمة

---

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب

السفين الى مملكة ابن الريق فآواه صاحبها واكرمه الى ان بدا له من سوء رأيه ان يكتب كتاباً الى الموحدين يستعطفهم وادرج في ضمن ذلك فصلا يذكر فيه ضعف المدينة فاطلع الرجل الموكل به وكان يعرف العربية سراً فقبض عليه فشاور ابن الريق قسيسيه في امره فاشاروا عليه باحراقه فحرقه

وذكر المراكشي انه كان يملك الثغر الذي من الجهة الشمالية من الاندلس (بعد انقطاع الدعوة الاموية عنها) وبعض المدن المجاورة للبحر الاعظم ابن الافطس الملقب بالمظفر ثم كان له ابن اسمه عمر يكنى ابا محمد تلقب بالمتوكل على الله كان يملك بطليوس واعمالها ويابرة وشنترين والاشبونة قال: اتصلت مملكته الى ان قتل المرابطون اصحاب يوسف بن تاشفين ابنه المتوكل في غرة سنة ٤٨٥ وكانت ايام بني المظفر بغرب الاندلس اعياداً ومواسم وكانوا ملجأ لاهل الآداب وفيهم يقول ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون من اهل مدينة يابرة قصيدته المشهورة التي مطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالاثر … فما البكاء على الاشباح والصور

وبهذا تعلم ان العرب استولوا على برتقال مدة لاتقل عن مائة وخمسين سنة نبغ فيها رجال منهم وخلفوا آثاراً لاتزال شاهدة بفضل تقدمهم في العمران وان هذه المملكة التي انقطعت الآن بيننا وبينها انواع الصلات كانت من جملة ممالك الشرق وان كانت غربية وان لسانها اقتبس من لساننا وان التعصب الديني الذي تم على يد القساوسة منذ القديم كان من المعجلات في نزع الملكية وقيام الجمهورية الآن

وقد كان اول عمل للجمهوريين طرد جماعة اليسوعيين من بلادهم واستصفاء الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانهم لم ينسوا بعد مسعى رجال الدين في مقتل فرر رجل الاسبان الحر في العام المنصرم قتلوه بواسطة الحكومة على ابشع صورة عرفت في عصر النور والمدنية لما اتفق الاحرار بالمحافظين نقضوا القضاء المبرم عليهم وعلى تقاليدهم ليعرفوهم ويعرفوا الحكومات التي تعمد الى الشدة في معاملة امتها ان الناس لايحكمون الا باستمالة القلوب وان القوة اذا خيف منها زمناً فقد يأتي آخر يستهين بها اهله فيستميتون ويستبسلون

والضغط لايزيد النفوس الابية الا مضاء . وهكذا أهين رجال الدين ولا سيما اليسوعيون وطردوا او كادوا من البرتقال كما طردوا من فرنسا من قبل وحرم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم ان تتزعزع ايضاً في اسبانيا لمتاخمتها ارض برتقال واذا صحت

عزيمة البلادين المتجاورتين على انشاء مملكة واحدة كما هو فكر بعض الخاصة هناك تصبح جمهورية اسبانيا والبرتغال واحر بها ان تسمى جمهورية ايبريا من الحكومات القوية ذات الشأن العظيم ، وربك يفعل ما يشاء ويختار

رحلة الى قلمون الاسفل[1]

على اربع ساعات من شمالي دمشق واد منبسط بين جبلين متشامخين طوله من سفح ثنية العقاب الى مزرعة الناصرية لا يقل عن ست ساعات وعرضه ساعتان . تربته بيضاء ورباعه مخصبة ومياهه موفورة بحيث لو حفرت عشرة اذرع او اكثر ينبط الماء غزيراً مع ان الجبلين المتناوحين من شمال الوادي وجنوبيه لا شجر فيهما ولا غابة تزينهما . ولو كانا مغروسين بالسنديان والزان والبطم والشوح لكان هذا الوادي بامطاره الغزيرة وديمه المتواصل اشبه باخصب السهول الهندية ولما كان جبل قلمون ضعيفاً بريه وان لم يكن كذلك بزكاء تربته والعالي والاسفل او التحتاني منه متشابهان وان كانت سهولة الخصب من آكامه وتلاعه ومياه الاعالي اعذب من مياه الاسفل . وفي قلمون الاسفل من القرى الامهات ما يطلق على امثاله في ديار الغرب اسم بلدة وذلك مثل الرحيبة وجيرود والمعضمية والتليلة وضمير وكلها ذات تاريخ قديم وعمران طبيعي وهي بكثرة نفوسها يزيد عمرانها اليوم كلما انبسط ظل السلام فيها وامن اهلها على مواشيهم من غارات اشقياء الصفا وجبل الدروز المجاورين لهم من جهة الجنوب والجنوب الشرقي على مسيرة يوم من هذه البلاد

ولقد كان عرب الصفا واللجاة وجبل حوران يغزون منذ سنين اهل قرى قلمون الاسفل في عقر دارهم ويرعون زروعهم وينهبون غلاتهم وصامتهم ولذلك ضعف عمران تلك الديار حتى على قيد غلوة من القصبات والمعاكر فاصبحت الا قليلاً مزارع حقيرة ومداشر . وقلت الاشجار فيها حتى في ضواحي القرى وعلى شواطئ الجداول والانهار لان الفلاح اصبح لا يفكر الا في رزق سنته فاذا نجا ماله من شرور النهب فهو سعيد آمن والا فيقضي عليه ان يعيش في فقر ليس بعده فقر وذلة هي الموت جبناً او يهيم على وجهه الى اقليم آخر يكون اقرب الى الامن والامان يطلب معاشه بالعمل مأجوراً وكان

---

(١) المقتبس م ٤ ص ٣٥٩

يستطيع ان يعيش اميراً من ارض اورثه اياها آباؤه واجداده ولو كان له حكومة تفكر فيه وتدفع عنه بوائق الدهر وعواديه وتعرف ان ما تتقاضاه اياه من الضرائب والاتاوات ليس الا لتحميه

ومن الغريب ان الامن لما كاد يرتفع رواقه في هذه الديار وتنتظم اصول الادارة بالنسبة لما كانت عليه في القرن الماضي مثلا حتى سرت الى الاهلين عدوى الهجرة الى اميركا فغدا هذا الجبل يمن هجره شقياً وكان يسعد بهم لو توفروا على خدمة ارضه واستثمار شجره واستنبات غلاته وتعدين مناجمه والعمل لاستبحار عمرانه ولا يقل عدد المهاجرين من هذا الوادي عن خمسمائة من اصل نحو عشرين الف نسمة وكل يوم يزيد نازحهم وقلما يعود احد منهم . يذهب الشبان الاقوياء ويبقى في الاكثر الاطفال والكهول والشيوخ حتى كادت تسوء الظنون في مستقبل هذه البلاد وهي اذا لم توفق الى النهوض بنشاط شبانها هيهات ان تعمر بتكاسل شيوخها وكهولها وحريمها .

قلما تعدين مناجمها لان جبالاً من مثل هذه لا تخلو من مناجم فاذا كانت بقعة واحدة وهي جيرود[1] وما اليها تحتوي في جملة ما تحتوي من الغلات والثمرات على اربعة اصناف من العناصر التي تقل او لا توجد في غيرها فما بالك لو بحث في قرى هذا الجبل وحده عما يكنه صدره من الخيرات الطبيعية .

ثم في جوار جيرود على مسافة ساعة منها الملحة التي يصدر منها الملح الجيد للطعام وتكفي الوف القناطير التي يمكن استخراجها من سورية باجمعها ولذلك يكتفى باستخراج كمية قليلة منه لان في جوار تدمر وحماة وصدد ملحات اخرى ينتفع بملحها دع عنك ما في سائر الاقطار الشامية من هذا الجزء المفيد

وبالقرب من الملحة معدن الجبس او الجبصين يقشرونه من الارض قطعاً مستطيلة بطول شبر او شبرين وعرض ثلاثة اصابع ونحو اصبعين يستخرج العامل القنطار الشامي منه بسبعة قروش وقد لا يستخرج قنطاراً منه في اليوم الواحد فيأخذه ضامنه من ادارة الغابات والمعادن ويجعله في تنور كبير يحرقه ، وعندها يستحيل الى جبس يدخل في الابنية والتبليط والنوافذ وغير ذلك

هذان هما المعدنان اما الثالث فهو نبات القلي او الاشنان يقطعونه ويحرقونه في

---

[1] في معجم البلدان جرود بدون ياء وقال انها من اقليم معلولا من اعمال غوطة دمشق ولعلها كانت تابعة للغوطة

حتى يرقدون فيها [illegible] يستحيل [illegible] من [illegible] التي لا يقل طولها عن ساعتين وعرضها [illegible] ساعة [illegible] وهذا النقش [illegible] ولكن احسن النقش ما اخرج من [illegible] ولذلك ترى كل حضري في دمشق يحرص الى ان [illegible] من [illegible]

وبلادها بعض [illegible] الطبيعي [illegible] رجال الطبيعة تخرج منها [illegible] الى [illegible] والابار الى [illegible] المتكلفة [illegible] في جهات [illegible] من دمشق او المدن السورية الى حاجة هذه البلاد العربية [illegible] ويها ولان الحكومة لا يهمها الا ان تأخذ من اهلها حقوقها ولا تقوم بما يجب عليها لهم من الحقوق

ومن سكان [illegible] في [illegible] والرج والنوطة يفكرون في مستقبل البلاد حتى [illegible] الى اميركا [illegible] في البلاد [illegible] الحكومة [illegible] سكة حديدية ضيقة كالموجودة في بعض السكك الحديدية الزراعية وبذلك [illegible] الصادرات [illegible] في الاعالي [illegible] الماضية والحالية .

والسكك الزراعية [illegible] مصر [illegible] بعد الآن ربط دمشق [illegible] سكة حديدية [illegible] والنبك [illegible] الى العراق لاختلاف المصالح السياسية [illegible] من [illegible] من امهات القرى مثل دومة [illegible] وقارا وفي النبك مثل [illegible] والرحيبة والقطيفة وغيرها [illegible] الاموال [illegible] هذه الاجزاء المتفرقة التي لا تجد فيها طريقا معبدا ولا بريدا ولا [illegible] بل [illegible] الى السودان عن [illegible] ترى المسافات قريبة [illegible] او يوما وبعض يوم الى [illegible]

مثال ذلك [illegible] الى هذا [illegible] فكان [illegible] يسألونا [illegible] ذلك اليوم من رمضان [illegible] العيد

وثبت في دمشق انا من كنا نسألهم عن فتنة جبل الدروز فكانوا لايعرفون من امرها الا ان الحكومة جيشت جيشاً عليهم ولا يعرفون ماتم ذلك من تأديب الدروز على حين ما احق الناس بالفرح بهزيمة الاشقياء لانتشار ظل الامن في تلك الربوع ولانهم طالما تأذوا بهم ونهبت مواشيهم وقتل رعاتهم وزراعهم .

ولاسبيل الى عمران هذه البلاد الا بالامن والعلم فمن جملة اسباب الامن مد الخطوط الحديدية الزراعية التي تقل نفقاتها وتكثر فوائدها المادية والمعنوية فتتضاعف اثمان الاراضي هنا كما يتضاعف دخلها وتكثر اشجارها ومواشيها والعلم لاينتشر الا اذا هب اعيان البلاد وعقلاؤها الى انشاء مدارس لابنائهم خاصة تجري على غير الخطة التي يسيرها عليها ديوان المعارف . تسير في التعليم على طريقة يتعلم بها الفلاحون لغتهم فقط بحيث يقرؤن ويكتبون فيها في الجملة ويعرفون المبادئ الاولى من الحساب والطبيعة والنبات والحيوان وشيئاً من تربية المواشي وحفظ الصحة والرياضة البدنية واصول الدين . يتعلمون كل ذلك بالعمل اكثر من النظر .

فلو قامت في كل قرية من قرى قلمون مدرسة ابتدائية كالتي انشأها في جيرود كبيرها محمد باشا الجيرودي ووقف عليها بستاناً فيه صنوف الثمار لايقل ريعه السنوي عن عشرة آلاف قرش لاصبح قلمون بعد عشرين سنة ارقى جبال سورية لما فطر عليه اهله من الذكاء والنشاط .

نعم استحق الزعيم المومى اليه كل شكر لانه جرى على غير سنة كبرائنا في السخاء فكان فيما نظن ثاني رجل في هذا القرن الرابع عشر وقف على العلم في سورية مثل هذا الملك الذي لايقل ثمنه الآن عن ثلاثة آلاف ليرة . والرجل الاول هو فيما نذكر محمد باشا المحمد من امراء عكار وقف على مدرسة دينية هناك ما يكفيها . اما سائر اعياننا واغنيائنا فلم يوفقوا الا قليلاً الى وقف ما يوليهم في دنياهم واخراهم فخراً وذخراً ولعل اعيان هذه البلاد من الأسر العريقة في المجد تقدم بعد الآن بين يدي نجواها من البذل للعلم ما تقر به العين فيحذون في ذلك حذو اغنياء الاقاليم في مصر الذي نهضوا بها وما انشؤه للفلاحين من الكتاتيب في بضع سنين مالا تنهض به امة تنتظر من حكومتها ان تعلمها في قرن او قرنين . وليت شعري متى تنبعث من دمشق نفحة من تلك الروح التي انبعثت في القاهرة ففاضت على اقاليم مصر فاحيتها حتى يكون حظ المصريين واحداً في النهوض اليوم كما كان كذلك في القرون الوسطى .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب المثنى

قال ابن ساعد (1) : ان علم اللغة هو نقل الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه وتفصيل ما يدل فيه على الذوات مما يدل على الاحداث وما يدل على الادوات وبيان ما يدل على اجناس الاشياء وانواعها واصنافها مما يدل على الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة . ومنفعة الاحاطة بهذه المعلومات جودة اطلاقه العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة .

ولقد طبعت كتب كثيرة في اللغة ولا يزال يظهر منها اشياء لم يكتب لها الظهور وقد وقع الينا من مكتبة احمد طلعت هذه الحاضرة نسخة من كتاب المثنى تأليف حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الذي ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال انه عبد الواحد بن علي ابو الطيب اللغوي الحلبي الامام الاوحد .

قال في البغية له التصانيف الجليلة منها مراتب النحويين ، الاتباع ، الابدال ، شجر الدر ، وقد ضاع اكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة مات بعد الخمسين وثلثمائة . وقال الصفدي : احد العلماء اللغويين المتقنين في اللغة والعربية اخذ عن ابي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي واصله من عسكر مكرم قدم حلب واقام بها الى ان قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وخمسين وثلثمائة .

وكتابه هذا في ٣٠ ورقة اكبر من الربع عليه حواش وتعليقات مفيدة كتب على الحاشية ان اكثرها نقل ابن الشحنة وابن مكتوم القيسي تلميذ ابي حيان وفيه نقص من وسطه ونقص قليل من آخره الا انه لا يحول دون الانتفاع منه لان النسخة قديمة على ما نظن وهي حسنة الخط مشكولة بالشكل الكامل والصحة غالبة عليها بحيث يسهل تمثيلها بالطبع دون الرجوع الى الامهات لتصحيح الفاظها واثبات الروايات المعتمدة في ضبطها وليس في الكتاب تاريخ نسخه ويرجح انها كتبت في القرن السابع او الثامن .

جاء في مقدمته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد النبي وعلى آل

---

(1) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ صاحب كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

محمد . قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : انه ليس شيء من كتبنا وان قصرت ابوابه وقلت اوراقه وصغر حجمه وصغر جسمه باقل فائدة في معناه لمتعلمه ولا انزر فائدة في مغزاه على المتفهم من غيره وان اسهبنا فيه واغرقنا في معانيه حتى طالت اصوله وانشرحت فصوله بل كل واحد بحمد الله على غاية ما امكننا من الكمال فيما اقتصرنا به عليه ونهاية التمام فيما انتهينا به اليه وما من شيء توخيناه من ذلك ولا تعمدناه الا لغرض في الافهام تحريناه وحرص على الاعلام الذي اردناه وكل من الله بمعونته . فاذا كانت بغيتنا فيما نأتيه وارادتنا فيما نبغيه ونبديه معونة المتفهم المستفيد والتقريب على ذي الفهم البعيد والحاذق الكهام البليد والذكي الحديد وكان ذلك لوجه الله خالصاً موفوراً لا نريد به جزاء ولا شكوراً فما اجدر من تفضل جل اسمه علينا بالارشاد وتوفيقه ايانا للسداد وثقة منه على عبده وكافل لمسترشده رشده ولا قوة الا بالله . ونحن قاصدون في كتابنا هذا لقصد ما ورد من كلام العرب مثنى في الاستعمال مثنية لازمة ومبيّنون بشرح وجوهه وتقسيمها وذكر ضروب توسعهم فيها فنقول ان جميع ما ورد الى ذلك من الاسماء عشرة اصناف الاثنان غلب احدهما على اسم صاحبه الاثنان جمعهما في التثنية اتفاق اسميهما الاثنان غلب نعت احدهما على نعت صاحبه الاثنان جمعا في التثنية لاتفاق نعتيهما الاثنان غلب عليهما لقب واحد . يجمعهما الاثنان يجمعهما لقب واحد الاثنان يسميان باسم الاب او الجد او احدهما ابن الآخر فغلب اسم الاب الاثنان اللذان لا ينفردان من قطعهما الاثنان في اللفظ يراد بهما واحد الاثنان يثنيان وان اكتفي باحدهما لم ينقص المعنى واما ما ورد من ذلك من الافعال فمنقول من الفعل المبني على صيغة التثنية والمراد به تكرير الفعل . الفعل يجيء مثله لاثنين ومعناه لواحد ونحن نبوب هذه الابواب ونأتي في معانيها او بجمهوره ان شاء الله . »

« هذا باب الاثنين غلب اسم احدهما على اسم صاحبه قال الاصمعي وابو عبيدة قولهم سار في الناس سيرة العمرين انما يريدون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الفراء نحو ذلك وجعل معاذ الهراء يقول لقد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبد العزيز وجاء في حديث انهم قالوا لعثمان رضي الله عنه نطلب منك سيرة العمرين فهذا يدلك على صحة ما قلناه

وهنا احد المؤلف يورد الامثلة في هذا الباب مثل الحنتفان والزهدمان والعمران والعتبان والعمدان والجيدان والمثلمان والاسلمان والشريفان والمناذرآن والاقمران

والقوسان والقمران والمربعان والمالحيشان والأمان والنيران والمشرقان والعمران والدحرجان والكبيران والأصلان والصرخان والعصرتان والغدوان والمطران . وشرحها شرحاً موجزاً واستشهد لها بكلام العرب وورد في باب التثنية لاتفاق اسميهما السعدان لسعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن مالك بن زيد مناة بن تميم والمروان لمرو الشاهجان ومرو الروذ . والفرقدان والقطبان والمنخران والوريدان والاجدلان والذراعان والمسعدان قال بعد الامثلة الكثيرة وهذا باب يفوت الاحصاء ويدخل فيه الاذنان والعينان والجبينان والحاجبان والخدان والوجنتان واللحيان والعارضان وما اشبه ذلك

وقال في باب الاثنين تغلب نعت احدهما في نعت صاحبه مثل الاسمران الخبز والماء والاسودان التمر والماء والاخضران البحر والليل والابيضان الخبز والماء والباكران الصبح والمساء ويقال لها الرائحان والابيضان الشحم والشباب . وقال في باب الاثنين جمعا في التثنية واورد لفظ الافيحان الليل والقاموس الاحمران الخمر واللحم والاصفران والاسودان والازهران والابيضان والاعميان والاطيبان والاخبثان الخ .

واتى على هذا النحو من تفصيل الابواب تفصيلا حسنًا وشرحها شرحا احسن

وقال في الاتباع الذي اوله الالف : قال ابو محمد تقول العرب في صفة الشيء بالشدة انه لشديد اديد وهو من الاد والايد القوة الا ان الاديد لا يفرد قال الراجز

يصوت عني شرة واداً من بعد ما كنت صملاً نهداً

ويقال جيء به من عيصك وأيصك اين من حيث كان ولم يكن فالعيص الاصل والايص اتباع الخ

وقال في الاتباع الذي اوله الباء يقال انه حسن بسن وانه لكثير بثير وانه لقليل بليل الخ وقال في التوكيد الذي اوله الباء : يقال فر وله بصيص واصيص وبصيص من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف ويقال انه لغض بض وباض وهي الغضاضة والبضاضة قال ابو زيد والبضاضة رقة البشرة وقال الاصمعي هي رقة البشرة والبياض وقال ابو زيد قد يكون الاسم بضاً ويقال انه لسر بر وسار بار وانهم لسارون بارون وسرون برون قال الشاعر

اخوة ما لقت سرون برون فان غبت فالذئاب الجياع

وهكذا اتى باب الاتباع على حروف المعجم فاستوفاه ولم نعثر في اي من كتب اللغة المطبوعة على اكثر استيفاء لهذا البحث من هذا . وفي آخر هذا الفصل البديع انتهى

بحسب الظاهر الكتاب . وجاءت بعده قطعة اخرى في اللغة على تلك الشاكلة ولكنها تكاد تتجاوز ثلاثة ارباع الكتاب فمن امثلته : الباء والشين يقال ارب على القوم وارش عليهم اذا حمل عليهم ووثب بهم وهو يؤرب على القوم تأريبا ويؤرش تأريشا ويقال علام بلبل وشلشل اذا كان خفيفا ظريفا . وقال في الباء والفاء : ابو زيد يقال خذه بابانه وخذه بافانه اي بزمانه وحينه وانشد

اهلا بافان وفي الدهر غرة   تزور وفي الايام عنك عقول

وفي هذه الصورة كانت سياقة هذه الابواب المفيدة ولها نظائر من كتب اللغة المطبوعة

وهاك نموذجا آخر : الجيم والقاف قال الاصمعي : يقال لكل ذي حانوت كربج وكربق والكربج والكربق ايضا اسم الحانوت وهو فارسي معرب وسئل عن كثير فقال كان كربجا قال ابو عمرو يعني صاحب حانوت ويقال هو الفالوذج والفالوذق واعطاني من التمر او الحنطة كيلجة وكيلقة . ابو عمرو يقال ما احسن الطسم وحسن الطسق بمعنى واحد والطسق هو الخرج بعينه وانشد

طبيخ نحاز او طبيخ اميهة   دقيق العظام سيء القسم املط

ويقال الباجت عليهم بائجة من الدهر وانباقت عليهم بائقة وهي البوائج والبوائق اي الشدائد والدواهي قال الشاعر وهو الشماخ يرثي عمر رضي الله عنه

قضيت امورا ثم غادرت بعدها   بوائج في اكمامها لم تفتق

وفي الحديث لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه اي دواهيه قال ابن احمر

اخاف بوائقا تسري الينا   من الاشياع سرا او جهارا

ومن الامثلة الكثيرة ما ورد في « العين والنون » الاصمعي يقال اعطيته اعطاء وانطيته انطاء بمعنى واحد ومنه قول الاعشى

جيادك في الصيف في نعمة   تصان الجلال وتنطى الشعيرا

والدعفص والدنفص من الرجال الزري المنظر الدني ويقال عسل الذئب يعسل عسلانا ونسل ينسل نسلانا وهو ضرب من المشي تضطرب فيه مشيته وفي التنزيل : فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وشكا عمرو بن معدي كرب الى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه المعص فقال : كذب عليك العسل اي عليك بالعدو قال الشاعر :

عسلان الذئب امسى قاربا   برد الليل عليه فنسل

وهكذا تجد الكتاب من أوله الى آخره مشحوناً بفوائد مع تحريه بالتدبر والاستظهار ولو اتسع المجال لاكثرنا من الامثلة وفيما أوردناه مقنع [illegible] عزيمة [illegible] الطابعين والراغبين في نشره يضاف الى المجموعة النافعة التي طبعت مؤخراً من كتب اللغة مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمذاني وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والنوادر لابي زيد والاضداد لابن بشار الانباري والفصيح لثعلب وذيله للبغدادي وصحاح اللغة للجوهري وفعلت وأفعلت للزجاج ومبادئ اللغة للاسكافي وأساس البلاغة للزمخشري والمقصور والممدود لابن ولاد وغير ذلك من المختصرات والمطولات كرسائل الدارات للاصمعي ورأس تلك الكتب اللغة المخصص لابن سيدة المطبوع والمحكم له الذي يرجى طبعه عما قريب

أعمال الأعلام

فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام تأليف
لسان الدين ابن الخطيب طبع في بلرم صقلية سنة ١٩١٠ ص ٦٨

احتفل الطليان في المشرقيات بمرور مئة سنة على مولد ميشيل اماري المستشرق الايطالي الذي صرف حياته كلها في درس التاريخ الاسلامي ولاسيما ما كان متعلقاً منه بجزيرة صقلية التي دانت للمسلمين زمناً طويلاً فوضعوا لذلك كتاباً في كل واحد قطعة تاريخية او اجتماعية نشرها . ومن جملة ما نشر هذا الجزء من تاريخ ابن الخطيب . نشره حسن حسني التونسي عبد الوهاب استاذ التاريخ في المدرسة الخلدونية بتونس بدعوة من صديقه الاستاذ نلينو الايطالي مكافأة لما ذكره من عمل الاسلام والمسلمين في اوربا طول حياته . وقد علق الناشر بالافرنسية شروحاً وحواشي على هذا الجزء تدل على بعد غوره وتحقيقه على اسلوب الاوربيين . والكتاب عبارة عن تاريخ شمالي افريقية وصقلية والاندلس وفيه ذكر من ولي الملك صغيراً قال لسان الدين في وصفها : قال ابو محمد الرشاطي : صقلية جزيرة كبيرة وصقلية اسم لاحدى مدنها الكبيرة والاسم للجزيرة وطولها مسيرة خمسة ايام وهي في البحر الشامي موازية لبعض بلاد افريقية واقرب المواضع اليها من بلاد افريقية رأس أدار بينهما مجرى يوم وتواجهها من الجهة الاخرى ارض الروم العظمى وافتتحت سنة اثني عشرة ومائتين وكانوا قبل ذلك معاهدين . ولافتتاحها خبر طويل . وقال [illegible] في وسطها مدينة [illegible] واحدة من كبار المدن القديمة ومن ثغور الكفار ومقصد تجاري

البحر من جميع الاقطار كثيرة الارفاق برخاء الاسعار مظلمة بالكفر لا يقر فيها للمسلمين قرار اسواقها نافقة حفيلة وارزاقها واسعة بارغاد العيش كفيلة لا تزال بها ليلك ونهارك في امان وان كنت غريب الوجه واليد واللسان وذكر بعد مدينة مسينة المدينة المعروفة بلارمة فقال فيها سكنى الحضر من المسلمين ولهم فيها المساجد والاسواق المختصة بهم والارباض وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها ومدنها كسرقوسة وغيرها وبهذه المدينة سكنى ملكها غليام وشأنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وهو كثير الثقة بهم وساكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله ومنهم وزراؤه وحجابه وعمال دولته المرتسمون بخاصته وعليهم يلوح رونق مملكته لاتساعهم في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الانيقة وهو كثير الاتخاذ للقيان والجواري وليس في جميع ملوك الروم اترف منه في الملك ولا انعم ولا ارفه وهو يتشبه في تنعمه بالملك وترتيب قوانينه وتقسيم مراتب رجاله وتفخيم ابهته واظهار زينته بملوك المسلمين . وملكه عظيم جداً وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم . ومن عجيب شأنه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته الحمد لله حق حمده وكانت علامة ابيه الحمد لله شكراً لانعمه . وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن . وذكر لنا ان الافرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة يعيدها الجواري المسلمات . وذكر مدينة شفلودي فقال هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الاشجار والاعناب مرتبة الاسواق يسكنها طائفة من المسلمين وذكر مدينة ثرمة فقال هي احسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة تركب البحر وتشرف عليه وللمسلمين فيها ربض كبير لهم فيه مساجد وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية وذكر المدينة التي هي حاضرة صقلية فقال هي ام الحضارة والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر وموارد عيش اخضر عتيقة انيقة مشرقة مونقة تتطلع بمرأى فتان وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق الابصار بحسن موضعها البارع عجيبة الشأن قرطبية البنيان قد زخرفت فيها لملكها دنياه تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب ويتقلب في بساتينها وميادينها بين نزهة وملاعب فكم له فيها لا عمرت من مقاصير ومصانع ومناظر ومطالع وكنائس قد صيغت من الذهب والفضة صلبانها وديارات قد زخرف بنيانها وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الاسلام يعمرون اكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة باذان

مصنوع ولها ارباض قد انفردوا بها لمساكنهم ويسكنها والي قبلها في وجامع يجتمعون للصلاة فيه ويحتفلون في وفوده واما المساجد فكثيرة لا تحصى واكثرها محاضر لمعلمي القرآن واطنب في تشبيهها بمدينة قرطبة . وذكر مدينة طرابنش واطنب في ذكر الجميع بالامر غب في اطالته اذ يجر التفجع ويثير التوجع اعادها الله دار ايمان بقدرته اه .

وذكر من ولي في هذه الجزيرة من الملوك الى ان تغلب عليها الروم واستولى عليها رجار ملك النصارى في زمن المرابطين الى عهد الاموي المستعلي من ملوك الشيعة بمصر عند ما استولت الروم على بيت المقدس والجزائر وقبل ذلك بيسير وتداول هذه الجزيرة امراء الى ان انقطع عنهم امداد المسلمين لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين واربعمائة وذكر اوائل من خرج من هذه الجزيرة من المحدثين والعلماء والفقهاء والشعراء والكتاب مثل ابن حمديس الصقلي قدم على المعتمد بن عباد عند الجلاء عن اوطانها فكان اثيراً لديه وهو القائل مما اثبته بذكر صقلية

قضت في الصبا النفس اوطارها ... وابلغها الشيب إنذارها
نعم واجلات قداح الهوى ... عليها قمرن اعشارها
وما غرس الدهر في تربة ... غراساً ولم يجن اثمارها
وافنيت في الحرب آلاتها ... واعددت للسلم اوزارها
كميت لها مرح بالفتى ... اذا حث بالهز ادوارها
تناولها الكوب من دنها ... فتحسبه كان مضمارها
وساقية زررت كفها ... على عنق الظبي ازرارها
تدير بياقوتة درة ... فتقبس في مائها نارها
وقينات حذق كزهر النجوم ... كرام الغناء احرارها
يديرون واستقبض الكؤوس ... على طلل الليل انوارها
كأن لها من نسيج الحباب ... شباكاً تعقل طيارها
وراهبة اغلقت ديرها ... فكنا مع الليل زوارها
حملنا اليها شذا لوة ... تذيع لاملاك اسرارها
فما فاز بالنسك الا التقي ... لهم عارفين او دارها
كأن بواقه عندها ... دوائر شبة ازهرها

طرحت بميزانها درهمي   لتبدل في الكأس دينارها
خطبنا بنات لها اربعاً   ليفترع اللهو ابكارها
من اللاء اعصار زهر النجوم   تكاد تطاول اعمارها
تريك عرائسها ايديا   طوالا تصافح اخصارها
تفرس في شمها طيبها   مجيد الفراسة واختارها
فتى دارس الخمر حتى درى   عصير الخمور واعصارها
يعد لما شئت من قهوة   سنيها ويعرف خمارها
وعدنا الى حالة اطمعت   بل قضب البان اثمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم   تثور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الاسى   فبان تحرك اوتارها
فهذي تعانق عوداً لها   وتلك تقبل مزمارها
وراقصة لقطت رجلها   حساب يد نقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة   تريك من النار نوارها
كأن لها عمداً صففت   وقد وزن العدل اقطارها
تقل الحباجي على هامها   فتهتك بالنور استارها
كأنا نسلط آجالها   عليها فتمحق اعمارها
ذكرت صقلية والاسى   يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة   فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا   حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة   بكيت ابن ستين اوزارها
فلا تعظمن عليك الذنوب   اذا كان ربك غفارها

وقد اجاد الناشر في التعليق على الرسالة بعض [illegible] المؤلف من رجال صقلية او هاجروا منها الى افريقية وذكر اناساً منهم فنشكره على تحفته

درس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط . القسم الثاني طبع على نفقة المكتبة الاهلية في المطبعة العصرية بيروت ص ٨٧

اجاد مؤلف هذا التاريخ بتسهيل مطالبه وتنسيق عباراته بحيث يتناوله التلميذ على

ايسر وجه بعبارة لائقة وهذا الجزء يشتمل على تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وما حدث من الاحداث الاولى في الاسلام . وكنا نود لو صحت عزيمة المؤلف على شكل مواضع الاشكال من عباراته حتى تقوى ملكة الفصيح والتلاوة المعربة في التلميذ وان يعلق شرحاً خفيفاً في الهامش على بعض الاعلام ولاسيما الجغرافية فيكون التلميذ على بصيرة من مواقع البلاد التي تعرض له ويجتمع له منها مجموعة معجم صغير البلدان التي فتحت الصدر الاول . وذلك مثل الجابية والبلقاء وبصرى والمربة واليرموك وقيسارية والعواصم وسبسطية والرها وبرقة والقادسية وجلولاء والاهواز وقرقيسيا والجزيرة وكذلك بعض اعلام فارسية مثل مكران وطخارستان وماسبذان وابيورد وطوس فان التلميذ لا يقنعه ان تقول له مكران من بلاد فارس خصوصاً وان كثيراً من اسماء هذه البلاد قد تغير الآن عن اصله او دثرت برمتها . ثم انا لاحظنا ايجازاً في العبارات كاد يكون مخلاً في بعض المحال مثل اقتضاب الجملة التي قالها هرقل لما سار من الشام الى القسطنطينية بائساً والتفت الى الشام وقال : « السلام عليك ياسوريا سلاماً لا اجتماع بعده » وقد كتب التاريخ انه قال هكذا : « السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي ابداً الا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ويا ليته لا يولد فما احلى فعله وامر فتنته على الروم »

المهاجر السوري

تأليف جميل افندي بطرس حلوة طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيويورك ص ١٥٤

من انفع الكتب الاجتماعية والاقتصادية التي نشرت بالعربية هذه الآونة هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه من مهاجرة السوريين في اميركا الشمالية لفائدة المهاجر السوري الى ارض خريستوف كولمبس فقد بحث بحثاً مستوفى فيما ينبغي للمهاجر عمله حتى ينجح بدأ بلمحة من تاريخ مهاجرة السوريين ونشوئها ومؤسسيها وعدد السوريين في الولايات المتحدة وعمالهم وقد قال في ذلك ان الاحوال قد تحولت والشؤون تبدلت واميركا اليوم غيرها ما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة وذلك ليكون المتخلفون في الوطن على بصيرة وانتباه ولاسيما ان السياسة قد بشرت بالترقي والتحسن والظروف بالتقوى والتمكن وسورية غنية بانجادها وآكامها ورباها وبطائنها وظهرانها ولا ينقصها الا بذل الاموال عليها وتوجيه العزائم اليها حتى يفيض منها اللبن والعسل .

وذكر ان الهجرة لا ترجع الى ابعد من خمسين عاماً كان الباعث عليها الاختلال الجاري

الاقتصادية في السلطنة العثمانية . وقد انكرنا عليه قوله ان الصواعق في عهد الحكومة الحميدية كانت تقع على رؤوس نصارى الشرق دون سواهم وعلى الرسوم بحبل الجاسوس والمنافق لما ثبت لدى العارفين ان المسيحيين ان لم يكونوا سواء واخوانهم المسلمين في المظلمة فقد كانت حقوقهم مرعية اكثر وقولنا هذا في مسيحيي سورية لا في غيرها خصوصاً وان اكثر المهاجرين من لبنان ولبنان باستقلال ادارته كان اكثر دعة من غيره من الولايات

وقال انه هاجر الى الولايات المتحدة فقط من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ خمسة آلاف نسمة وكلما نجح افراد زادت الهجرة وفي الولايات المتحدة من السوريين الآن عدد يبلغ الثلاثمائة الف اذا حسبنا تكاثرهم على سبيل التوالد

وقد تكلم المؤلف بحرية فقال ان البعض من المتجولين في تقديراتهم في بلاد غريبة وعلى زعم ان لا رقابة عليهم ولا معاينة خلعوا عنهم ثوب الاستقامة والصدق والامانة جارين بذلك على انفسهم نقمة الوطنيين ولعنة المواطنين

واجاد في كلامه على المرأة السورية المهاجرة والدار الى ما تتعرض له من اقران وثلم الشرف بتجارتها واشار بان تعفى من هذه المهنة فقال لا يكون غريباً تحصيله من هذه السبل

وعقد فصولاً كثيرة في المهاجرة والدولة والمهاجرة ومقتضياتها والمتصل بالنخاسة وحماية العمال والخطر الاصفر وتفريق المهاجرين في الولايات عوضاً عن تجمعهم وضريبة الدخول على النفوس والفحص ومراقبة الحكومة وما ينبغي للمهاجر ان يكون له من المال ويكون عليه من الصحة والهندام . وتكلم على عمران الولايات المتحدة واجاد فقال يكفي ان يقال عن مساحة الولايات المتحدة ان ولاية تكساس فقط منها تسع انكلترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا بجموعات ! واورد دستور الولايات المتحدة وحقوق الرعية فيها ورئاسة جمهوريتها وتذاكر التجنس بالجنسية الاميركية وغير ذلك من القوانين النافعة المصورة حالة تلك البلاد وهو مما ينفع المهاجرين وغيرهم فنشكر للمؤلف غيرته التي نفع بها ابناء وطنه

كتب متفرقة

نقد النصائح الكافية — تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وفيه تعديل معاوية وقبول مرويه ومروي الصحابة الذي كانوا معه وبيان الاعتدال والانصاف كما هو مذهب الائمة وفلاسفة الاسلام وهو في ٤٤ صفحة طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ومن احسن

شرع فيه الفقيه المعين بيان ان كتب الحديث مشتركة بين الامة يرويها الشيعي عن السني وبالعكس ومن عادة السلف الرواية عن المخالفين في المذهب وان كتب الحديث هي اثارة محمدية لا امامية ولا غيرها وكتابه جيد كتب مقدمته يراعة الاستاذ

الاخلاق — هو كتاب عربه عن الانكليزية محمد افندي الصادق حسين صدر الجزآن الاولان منه ومؤلفه صموئيل سمايلس من مشاهير الانكليز ويطلب من مكاتب القاهرة

القسمة من السعادة — تأليف الطبيب مصطفى السعادة صدر الجزء الاول منه في ١٦٦ صفحة وفيه كثير من القوانين الصحية والتدابير الاهلية يطلب من مؤلفه في بيروت

ديوان الانشاء — هو مختصر في المراسلات العصرية تأليف محمد عمر افندي نجا في بيروت في ٢٢٤ صفحة وفيه كثير من فوائد الرسائل التجارية يطلب من مؤلفه ومن مكاتب بيروت

الاسلام والعلم في ما بين الامم — تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير من افاضل بيروت وفيه رد على بعض المستشرقين الذين تناولوا الاسلام بما يحط من شأنه اخذاً من كتب الافرنج ومشهوراتهم وتواريخهم غير مطلعين على ما ورد في الاسلام نفسه وهو في ٤١ صفحة

الدرر — اصدرت المطبعة الادبية في بيروت طبع «الدرر» لاديب بك اسحق من كتاب الطبقة الاولى من الصحافيين في القرن الماضي وهي مقالاته وقصائده وخطبه وآثاره ومراثيه وكل ما يتعلق بذلك وهو من جمع شقيقه عوني افندي اسحق وقد وقع في ٦١٦ صفحة

مجلتان حديثتان

مجلة الاقتصاد — هي زراعية صناعية تجارية مصورة منشئها ابيال افندي ايلا تصدر في بيروت مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في العام خمسة ريالات عدا اجرة البريد وفيها عدة مقالات نافعة منها مقالة في البلجيك والقضايا الاقتصادية جاء فيها ان مساحة انكلترا ٣١٥ الف كيلومتر مربع وسكانها ٤٠ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٢٦ والديون العمومية ١٢ مليارا والتجارة ٢١ مليارا وطول سككها الحديدية ٥٠ الف كيلومتر ومساحة البلجيك [illegible] وسكانها ٧ ملايين ومعدل سكانها ٢٣٤ وديونها [illegible] مليار وتجارتها ٢٠ مليار وطول سككها ٤٥٠٠ ومساحة القنا والجر ٦٢٥

الف كيلومتر وسكانها ٤٤ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلومتر ٦٩ وديونها ١٦ مليارًا وتجارتها ٤٠ مليارًا وسككها ٥٠ الف كيلومتر ومساحة المانيا ٥٤٠ الف كيلومتر مربع وسكانها ٥٢ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلومتر ٩٧ وديونها ١٦ مليارًا وتجارتها ٢٠٠ وسككها الحديدية ٤٩ الف كيلومتر ومساحة روسيا ٥٤٣٠٠٠٠٠ وسكانها ١٠٦ ملايين ومعدل السكان ١٩ وديونها ١٦ مليارًا وتجارتها ٤ مليارات وطول سككها ٥٠ الف كيلومتر ومساحة ايطاليا ٢٩٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٢ مليونًا ومعدل سكانها في كل كيلومتر ١٠٩ وتجارتها ٣ مليارات وسككها ١٦ الف كيلومتر ومساحة فرنسا ٥٣٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٨ ومعدل السكان ٧٢ ساكنًا في كل كيلومتر وديونها ٥٠ مليارًا وتجارتها ٧ وسككها الحديدية ٤٢ الف كيلومتر اما البلاد العثمانية فمساحتها ٤ ملايين كيلومتر مربع وسكانها ٣٨ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٠ اشخاص وديونها ٥ مليارات وتجارتها ١٠ مليار وسككها الحديدية ٥٠٠٠ كيلومتر بما فيه طريق الحجاز

العالم الجديد — مجلة شهرية تصدر بالعربية في نيويورك وتبحث في شؤون اجتماعية واقتصادية ولغوية وفكاهية وتاريخية اطلعنا على العددين السابع والثامن منها فرأيناها حافلة بالموضوعات والمباحث النافعة لمنشئها سلوم افندي مكرزل وقيمة اشتراكها دولاران ونصف وهي في عشرين صفحة كبيرة

[illegible]

مدارس الصحافة

حاول الفرنسيون ان يعلموا فن الصحافة في المدارس فانشئت في باريز سنة ١٨٩٩ مدرسة الصحافة [illegible] ان الصحف [illegible] تقرأ فيه محاضرات ومسامرات وخطب في موضوعات لها علاقة بالصحافة . وقد [illegible] سنة ١٨٩٦ فالقى عدة محاضرات في وظائف الصحافي [illegible] مدرسة الصحافة يدرس فيها علاوة [illegible] كيفية كتابة المقالات اصول [illegible] مدة وفي اميركا ولا سيما في الولايات المتحدة انشئوا عدة صفوف في المدارس الكلية لتعليم الصحافة ولا سيما في فيلادلفيا

وشيكاغو واضافوا في ولاية كنساس الى دروس التحرير والانشاء دروساً في كيفية جلب الاخبار والمقالات [illegible] والسياسية [illegible] الشأن [illegible] وروح وحنيف [illegible] في تعليم [illegible] الصحافة [illegible] الاميركية بعد ايراد ما تقدم . وياليت شعري هل [illegible] الاول [illegible] دخل الاصلاح في الصحافة من هذا التعليم [illegible] الجواب [illegible] ما يجب [illegible] من المعارف الفنية كفاءته [illegible] الطبيعية [illegible] في ثبات الارادة و[illegible] تعليمه [illegible] لا ينكر ان التعليم العالي يجب ان [illegible] الآن [illegible] الصحافة [illegible] وان مدارس الصحافة التي هي [illegible] عديدة في هذا الشأن

الساحات الصحية

قال الفيلسوف جان جاك روسو [illegible] نفس الانسان مضر بالناس . ولكن هذه القاعدة لا تطبق في المدن وقد كثرت فيها الامراض [illegible] التي تكون ساحاتها [illegible] والهواء والشمس [illegible] ان في [illegible] الى [illegible] من [illegible] ثلاث مرات [illegible] الناس [illegible] ساحاتها في المدن الكبيرة وحدائق النزهة .

مكاتب الشعب

[illegible] مكتبة مدينة [illegible] الى [illegible] الكتب [illegible] في [illegible] تقريراً في [illegible] كتب الشعب في [illegible] جمعيات مؤلفة [illegible] من [illegible] ارباب الحرف [illegible] فلكل مكتبة [illegible] خزانة الكتب وغرفة المطالعة التي تعرض فيها المجلات والجرائد السياسية والمصورة . وقال ان مدينة [illegible] كانت فيها سنة ١٨٨٨ — ٨٠ مجلداً فاصبح فيها الآن [illegible] وقال انه يجب [illegible] جمع الكتب [illegible] الذي [illegible] عندي [illegible] ان [illegible] بحسب [illegible] وتجعل لها فهارس بذلك .

[illegible] الاقتصادية

نشرت [illegible] الحالة الاقتصادية في [illegible] سنة ١٩١٠ [illegible] بلغت مساحتها السطحية ٣ ٨٢٤٤ كيلومتراً مربعاً [illegible]

وكان سكانها سنة ١٩٠٦ —— ٥٣،٢٧٤،٩٨٠ منهم ٥١،١٩٩،٤٥٥ في البلاد الاصلية وقد زاد السكان منذ سنة ١٨٩١ عشرة ملايين فيكون بذلك ١٣٣ ساكناً لكل كيلومتر مربع . وقد تحسنت يابان ماليتها بعد الحرب الروسية اليابانية ووضعت قواعد في الميزانية مقومة بالحكمة وحددت الخرج والدخل السنوي بحيث تتحامى عقد قروض جديدة وان تسارع الى وفاء ما عليها من الديون فلا تقبل الى ان تطلب اموالاً جديدة بل قللت بالعكس مما كانت وخففت من الاعتمادات لبعض المشاريع ورصدت دائماً النفقات اللازمة لبعض الاعمال العامة وصرفت لها مدداً متطاولة سنة بعد السنة

وعزمت هذه الحكومة ان تدفع كل سنة خمسين مليون ين او ١٢٩،١٥٠،٠٠٠ فرنك كل سنة لوفاء الديون العمومية وازمعت ان تزيد هذا القدر حتى تستهلك جميع الديون التي عليها ومع كل هذا لم تزد الديون التي عليها بل قومت ميزانيتها فوق العادة فكانت هذه السنة ٤٠٢،٨٦٦،٠٠٠ ين في الاولى و٩٩،٩٧٨،٤٦١ ينا في الثانية واما النفقات التي زادوا فيها فمخصصات الامبراطور وزيادة رواتب الموظفين والضباط والتوسعة على الجند واكثر النفقات فوق العادة تذهب في استهلاك دين الامبراطورية . وبداعي النظام الجديد في الجباية زادت الضرائب على العقارات والسكر احد عشر مليون ونصف مليون ين وزادت من جهة اخرى واردات الحكومة العادية بتحسن بعض الضرائب الاخرى ومحصلات الطوابع والبريد واحتكار الملح والكافور والتبغ . وقلت النفقات غير العادية مليونين ونصف مليون ين . هذا وقد كانت ميزانية منذ خمس سنين ٢٧٧ مليون ين فارتفعت على حين فجأة بعد الحرب الروسية اليابانية الى ٤٢٠ مليوناً

وبلغت تجارة يابان الخارجية سنة ١٩٠٩ — ٨٠٧،٣١١،٢٥٤ ينًا منها ٤١٣،١١١،٣٠٠ من الصادرات و ٣٩٤،١٩٩،٠٠٠ في الواردات واكثر صلات يابان التجارية مع الصين والولايات المتحدة ثم تجيء فرنسا فالمانيا فانكلترا . وطول خطوطها الحديدية ٥٠٢٠ ميلاً منها ٤٥٤٢ ملك الحكومة و ٤٧٧ تستثمرها شركات كلفت ٥٣٥ مليون ين ومع ان دخل سكك الحكومة اكثر من دخل سكك الشركات فالحكومة تريد ان تجعل محاسبة خطوطها في صورة تجارية

فوائد التلفون

نشر احد الالمانيين كتاباً في الفوائد التي نجمت في التجارة من التلفون جاء فيه

ان ما انفقته المانيا الى آخر سنة [illegible] مليون مارك [illegible] السكك الحديدية و٢٦٤ مليون مارك لانشاء الاسلاك التلفونية . وكانت [illegible] انفقت الى سنة ١٩٠٢ — ١٨٤٣ مليون مارك وان النظام الاقتصادي الحديث قائم اليوم على اساس نقل الاخبار بسرعة على الاسلاك [illegible] في رقعة واسعة من الارض ولا تزال [illegible] الآن [illegible] والتلفون افضل من التلغراف ولكنه لا يقوم مقامه واستعمال [illegible] في الوقت وبه [illegible] دوامها وساعد على اعتدال الاسعار وتحكم التجار فيها والتلفون [illegible] فالواجب تحويل اسعاره حتى يشترك في منافعه الكبير والصغير على السواء

العمال الالمان

كان من نتيجة آخر احصاء قامت به المانيا منذ ثلاث سنين ان كان عدد سكان المانيا [illegible] وقد صرفت المانيا في هذا الاحصاء [illegible] عدد الاشخاص العاملين في الصناعات الرئيسية [illegible] من [illegible] والاشخاص المشتغلون بلا عمل ٣٠١٠ مليون وفي المانيا [illegible] عدد الاشخاص المشتغلين [illegible] صناعة [illegible] عدد العاملين [illegible] مليون [illegible] في المئة من مجموع السكان وكانت سنة ١٨٨٢ [illegible] في المئة . [illegible] عدد الصناعات والحرف الى ثلاثة اقسام رئيسية هي الزراعة [illegible] والغابات والصيد . والصناعات [illegible] والتجارة [illegible] في كل فرع من فروعها وقل عدد المشتغلين بالزراعة [illegible] فكان عدد العاملين في الزراعة سنة ١٩٠٧ [illegible] مليونا [illegible] سنة ١٨٨٢ وبلغ عدد من يعملون في الزراعة [illegible] سنة ١٩٠٧ [illegible] مليونا وعدد المشتغلين بالصناعات ١١ مليونا وزاد عدد السكان منذ ١٨٨٢ الى ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين [illegible] الصناعة [illegible] وهكذا كان بحسب الاحصاء الاخير [illegible] من [illegible] من العملة و[illegible] من المتقدمين [illegible] و[illegible] مستخدم و[illegible] عامل و[illegible] مستخدم

و ١،٩٦٠،٠٠٠ عامل · وزاد عدد الاشخاص العاملين باكثر مرتين من عدد العمال وكثر انضواء العمال بعضها الى بعض واحتفظت الزراعة بالقسم الاعظم لها من السكان ونبذت الآخر العمل في التجارة والصناعة

مطالعات

قال ابو العلاء المعري واجاد ما شاء :

مثل الفتى عند التغرب والنوى · مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً ارتك خمودها · او وافقت اجماً ارتك منارها

وقال الآخر وقد ابدع :

وكم قائل مالي رأيتك راجلاً · فقلت له من اجل انك فارس

وقال البحتري ولم يبق مقالاً لقائل :

الجاهلون اشد من دون الورى · فالظن أخي وان هم لم يفطنا
من قال ما بالناس عني من غنى · من جهله او قال بي عنهم غنى

فضائل الهند الثلاثة وضع كتاب كليلة ودمنة الحساب والشطرنج والارقام التسعة الهندية

قال يونس النحوي : الايدي ثلاث يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف واليد السوداء هي المن بالمعروف

كتب رجل من العلماء الى يزيد بن حاتم يستوصله فبعث اليه بثلاثين الف درهم وكتب اليه اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لا اكثرها امتناناً ولا اقللها تجبراً ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع عنك رجاء والسلام

عيسى اسكندر المعلوف

احصاء الحيوانات

قدم الاستاذ سيلي الى مجمع ترقية العلوم البريطانية احصاء في انواع الحيوانات قال فيه لقد كثرت منذ نحو نصف قرن الحيوانات ذوات الثديين كثرة زائدة فبعد ان كانت ١٣٠٠ نوع اصبحت ٢٣٠٠ وبعد ان كانت اجناس الطيور ٣٦٠٠ ارتفعت الى ١١٠٠٠ وكان عدد الحيات ٣٤٣ فصارت ٢٤٠٠ وعدد الاسماك ٣٥٠٠ فاصبحت ١١٠٠٠ والحيوانات التي لا فقار لها كانت الصدف ١٠٠٠ فعد منها ٣٣٠٠٠ والحيوانات ذوات القشر من ١٢٩٠ الى ٧٥٠٠ والعناكب من ١٠٤٨ الى ٣٠٦٠ والهوام من ٤٩١٠٠

الى ٥٠٤٢٥، ٣٣ وعدد [illegible] من ٢٢٠ الى ١٨٠٤٣ والمجانين من ٣٣٢ الى ٦٠٧٠ ولكن مجموع الانواع المرضية سنة ١٨٨٠ [illegible] فاصبحت سنة ١٨٨٩ ٢٣٥٤٦٢ والزيادة في الازدياد سنة عن سنة

الكحول والانتحارات

نشرت الحكومة الانكليزية [illegible] في الزيادات والوفيات التي فيها ان عدد الوفيات سنة ١٨٩٠–١٩٠٣ كان ٤٠ في الالف في انكلترا و١٦ في الالف في البلجيك و١٨ في روسيا و٣٠ في فرنسا [illegible] من الاطفال في روسيا [illegible] يبلغ ٢٦٠ في الالف [illegible] من هذا العدد [illegible] الكحول كثيراً في الامور الاجتماعية منذ خمسين سنة [illegible] كان معدل الوفيات [illegible] سنة ١٨٧٠ — ٣٣ في الالف فوصل سنة ١٩٠٥ — الى ٢٧ في الالف [illegible] يكثرون عن ذي قبل وكذلك يكثر [illegible] الناس [illegible] في صناديق [illegible] دور [illegible] الناس [illegible] الامراض [illegible] الانواع [illegible] والمباريات [illegible] الكحول [illegible] الاسيوية

حماية الاطفال

في اميركا انشئت اول جمعية لحماية الاولاد سنة ١٨٧٦ وفيها اليوم ٣٥٠ جمعية لمثل هذا الغرض واهم هذه الجمعيات هي في مدينة نيويورك في [illegible] عظيمة ذات [illegible] الاولاد في الشحاذة او بيع [illegible] في الليل [illegible] الموسيقيون [illegible] استخدموا صغار الاطفال [illegible] في بعض اجزاء جمعية [illegible] ٢٢٢٠٦٠١ طفلاً

الهواء الطلق

وضع احد [illegible] طريقة جديدة في الاستشفاء [illegible] ان [illegible] الهواء [illegible] المركبات والترامات [illegible] حتى [illegible] الهواء [illegible] على نحو الطريقة التي [illegible] كتب في الاخبار

للاستشفاء بهذه الطريقة اما الجوارب فلا خطر لبسها في الارجل قال ولا بأس بوضع قماش مسرد تحت الساقين وقال ان الطريقة الصحية [illegible] عليه منذ بضع سنين ورأى ان يداويها في الحال بالمشي السريع فتصبب جسمه عرقاً وشفاه من الاصابة بها . وقد احدثت هذه الطريقة الجديدة في المعالجة اخذاً ورداً بين الباحثين والعالمين في الغرب فكان واضعها يرى ان يعود بالانسان الى العيش الطبيعي

الخط المائل والمستقيم

اتفق جمهور من الاطباء في جمعية طبية في باريس على ان الخط المستقيم لا يتأتى معه للولد ان يجلس جلسة طبيعية بسبب الميل الظاهر في [illegible] فان حركة ذراعه تحدث تعباً في الاعصاب ويكون هذا التعب [illegible] جداً او قليلاً جداً [illegible] اخطار الاولاد المستعدين لتشويه الجسم والكثير [illegible] بسبب الكتابة . اما الخط المائل فانه يكتب في صورة اسهل من المستقيم [illegible] الولد ويكون به جلسته اكثر اعتدالاً وهذه الطريقة هي التي يفضل اتباعها في المدارس وان الخط المستقيم لا يحول دون حسن الخط كالخط المائل او اكثر

نصائح للمعلمين والمعلمات

كتب احد المشتغلين بتربية النشء يقول ان التربية المدرسية يجب ان لا تختلف عن التربية البيتية فيفرض على التلامذة ان يعتادوا [illegible] الطاعة والحرية والارادة والنظر والتأمل وهكذا يتعلمون [illegible] واياك اياك التعقيد ان تحاول [illegible] بالعيب [illegible] عن سوء [illegible] . والتفت الكاتب الى الاساتذة فنصح لهم ان يحترموا [illegible] تلامذتهم كل الاحترام وان يدركوا معنى الثقة التي تنوه عليهم ويتوقوا الى [illegible] ان [illegible] فذلك الامر [illegible] من المعلمين لا للمتعلمين وعلى الاستاذ ان يجمع [illegible] والتوسع في الرحمة كالتوسع في الشدة وان تكون مطالبهم من التلاميذ بحسب [illegible] لا [illegible] التلميذ ولكن لا ينبغي وان تكون [illegible] لا [illegible] . وهنا وجه كلامه الى المديرين فقال [illegible] ان [illegible] ان يعامل الناس [illegible] كما يعاملون